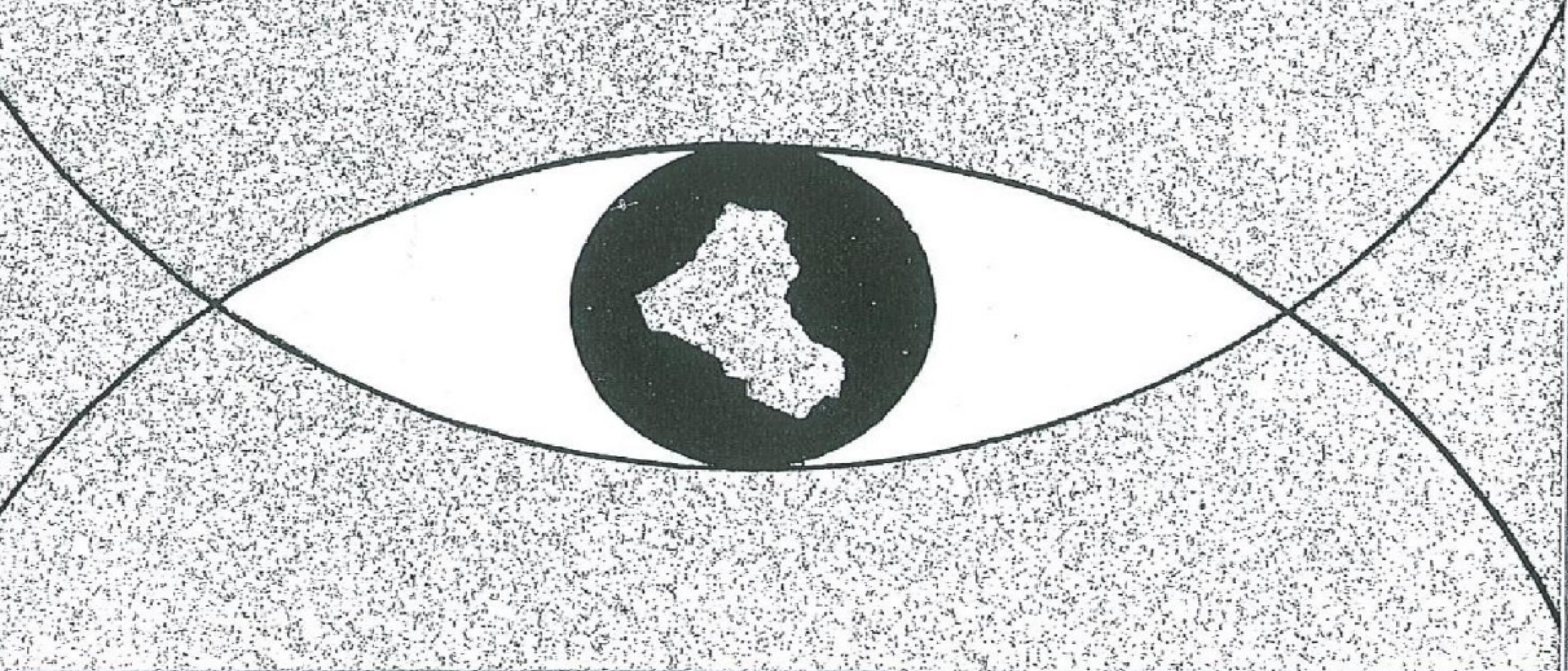
استراتيجية الأمن الداخلي

د. فاضل البراك



الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دائرة الاعلام الداخلي العامة

استراتيجية الامن الداخلي

الدكتور فاضل البراك

الاهـــــداء

الى جند الحق القومي والشرف العربي ، الى شهداء القوات المسلحة العراقية الباسلة المظفرة في معركة قادسية صـــدام ،

الى الابطال الخالدين الذين ساروا بأسمين مختارين على الطريق المؤدي الى الاستشهاد فضحوا بأرواحهـم لانهم أرادوا العزة والـكرامة والحرية والسيادة والحياة للوطن والامة العربية جمعاء ،

الى كافة المناضلين الشرفاء الذين ســاهموا بالسيف أو بالقلم في حماية الامن القطري للعراق والامن القومي للامة العربية وسهروا ليـل نهار بدون كلل أو ملل للمحافظة على الجبهة الداخلية المتراصة المتحدة في السواعد والقلوب ، ظهيرا قويا وسندا أمينا للجبهة الامامية التي حققت أشرف الانتصارات في أروع المعارك ،

الى كـــل المقاتلين الاشاوس في جميـع جبهات الحرب وميادين القتال من نساء ورجال الشعب العراقي والامة العربية في كافة المواقـع على اختلافها ، دعما للمجهود الحربي ودفاعا عن الحق القومي وتعـزيزا للنصر العربي المبين ،

أهـــدي هـــذا الكتاب بتواضع واعتزاز .

المؤلف

تهديـدات الأمن الداخـلي(*)

المقدمة :

تحتاج الاجهزة الامنية ، مهما كانت محترفة ومتفهمة لواجباتها ، الى استلهام مستمر لتوجيهات الحزب وايجـاد افضل الصيغ والسبل لتعزيز الايمان بالثورة وحتميتها . ولنا في وصايا وتوجيهـات السيد الرئيس القائد صدام حسين الدليل الواضح والمؤشر الدقيق للربط بين مهام الحزب وواجبات الاجهزة الخاصة .

ويجب ان نربط بين عملنا الامني وبين ما تحققه مجمل اجهـزة الدولة من انجازات في سبيل ترسيخ بنيان الحزب والثورة .

وينعكس الامن القطري سلبا او ايجابـا على الامن القومي . والعكس ايضا صحيح . وينبغي ان يناقش الوطن العربي من الناحية الاستراتيجية مناقشة جغرافية شاملة ومحددة لغرض الالمام بالتهديدات التي تواجهه من الداخل والخارج . وينبغي ان يكـون هذا الفهـم مدروسا ومستندا على اسس ثقافية وسياسية وجغرافية . لان الوطن العربي يعتبر في تقديرنا قلب العالم من ناحية الموقع الاستراتيجي . وفي

(*) محاضرة القيت في المعهد العالي للأمن القومي بتأريخ ٢٦ / ١٢ / ١٩٧٨

ضوء اهمية هذا الموقع ، فان مصر وسوريا والعراق وفلسطين تعتبر الشريان الحيوي والعصب الحساس في هذا القلب .

وتعتمد الاستراتيجية الامبريالية في تخطيطها ضد الوطن العربي على هذه المعادلة التي قد تبدو لاول وهلة بسيطة . الا انها في الحقيقة مهمة وخطيرة .. ويستند تحليل الدول الامبريالية للوضع المذكور على القناعة بان السيطرة على أي قطر من هذه الاقطار ينطوي على تأثير مباشر على الاقطار الباقية .. وان السيطرة على هذه الاقطار في جملتها تعني السيطرة على مراكز حيوية في العالم ..

الامن القومي والدراسات الاستراتيجية :

باتت الضرورة القومية تملي علينا ان نثير موضوع الامن القومي في كافة مجالات البحث لما له من اهمية قصوى وخاصة في عالمنا الحاضر . وبما ان المكتبة العربية تفتقر الى هذه المعلومات ، لذا ينبغي ان يناقش هذا الموضوع من قبل مثقفينا بشكل واسع لكي نتوصل الى مفهوم واضح لامننا القومي . وقد سبقتنا معظم الدول في هذا المجال . فهناك مثلا نظريات للامن الامريكي والامن السوفيتي والامن الاوربي وأمن الكيان الصهيوني وغيرها . وهذا يعني ان كل مواطن في تلك الدول ، يعرف امن امته بشكل واضح ومتى وكيف يتهدد والقوى التي تهدده . وتحاول هذه الدراسات في مجال الامن القومي جاهدة ان ترسم صورة للمستقبل من الجانب الذي تراه الدول المعنية ومن المنظور الذي تعتمده القيادة السياسية صانعة القرار . وتتطور هذه الافكار تطوراً دائبا ومتواصلا . وتبرز حقائق جديدة مضافة لم تتيسر الا عن طريق البحث والاستقصاء . وقد عمدت دول عديدة الى تأسيس

مراكز دراسات في هذا المجال • وقسم من هذه المعاهد قد أثبت كفاءة اكبر بكثير من الدراسات العسكرية ، وخاصة في الدراسات الاستراتيجية •

ومما يعزز لدينا الحرص والتأكيد على ضرورة مثل هذا التوجه . ان الظروف العالمية تتغير تغيرا سريعا ومستمرا من لحظة الى اخرى ، ولا تثبت على موقف عام واحد في مرحلتين متقاربتين ومتعاقبتين من الزمن ، وفي احيان كثيرة • ومن هنا ، فأن اطلاعنا المتواصل وتتبعنا الواعي للوقائع المتغيرة والظروف الجديدة سيتيح لنا فرصا افضل وخيارات اوسع للاستفادة القصوى من قدراتنا الذاتية • وبالتالي ، ستكتسب هذه القدرات ما تحتاجه من قابليات في التحرك الهادف المؤثر ، خصوصا بعد ان ظهر واضحا تأثير الامكانيات الذاتية للقدرات المحلية للشعوب على السياسة الدولية •

ويعتمد حزبنا ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، اعتمادا كليا على هذه القدرات • ومن هذا المنطلق ، بات من الضروري ايضا ، ان نعمل على نشر وتعميم وتعميق الوعي الامني والفهم الاستراتيجي ، ولو في الخطوط العريضة والمبادىء الاساسية والملامح البارزة ، بالحد الادنى على الاقل ، في صفوف شباب امتنا العربية ، تحديدا للموقع الذي تطمح الى احتلاله ، والدور الذي تنوي ان تلعبه ، في خضم هذا الصراع المصيري الرهيب الدائر في العالم اجمع •

الاستراتيجية العراقية :

نلاحظ ان العراق يدخل في نطاق حسابات المعادلة التي تعتمدها الاستراتيجية الامبريالية التي تتصور ان السيطرة على فلسطين تؤدي

الى التأثير على مصـر وسوريا والعـراق، وان السيطرة على سوريا والعراق ومصر تؤدي الى التأثير على الوطن العربي بأسره ٠٠ ولكن هذه المعادلة قابلة للتبديل في ضوء الظروف المستجدة والمتغيرة وفق منظور استراتيجي بعيد المدى طويل الاجل ٠ ويعتبر العراق مفتاحـا مركزيا في هذه المعادلة ويعود هذا الاعتبار الى وزنه السياسي ودوره القومي وثقله العالمي ٠

ويتوقف تأثير هذه المعادلة على طبيعة الوضع الداخلي في العراق ٠ لان هناك في كل بلد سياسة داخلية واخرى خارجية ٠

ولكن التحرك السياسي الخارجي يرتبط بالوضع الداخلي ويشتق منه ويقاس به وينعكس عنه ، وترتبط السياسة الخارجية بوجه عـام ارتباطا عضويا مباشرا بالوضع الداخلي ٠ ومن المؤكد ان الاهمية القومية المذكورة للعراق ، تعتمد على طبيعة الوضع الداخلي ٠ ويرجع السبب الى الدور الفعال الذي يلعبه العراق باعتباره الحلقة الاساسية والقاعدة المؤثرة على الوطن العربي بشكل مباشر وغير مباشر ٠ لان انجازات الثورة في القطر وتحركها عربيا ودوليا لا ينفصـل تأثـيرها اطلاقـا عن كافة اقطار الوطن العربي ٠

واذا كان العراق ، كما تقدم ، يلعب دورا مؤثرا الى هذا الحـد على الصعيد القومي ، فان وضعه الداخلي يكون بالضرورة هدفا للتآمر بانواعه المتعددة واشكاله المختلفة ٠ ولكن تحرك الثورة عربيا يؤثـر بالمثل في وضع الثورة داخليا ٠ ومن هنا ، يرتبط الوضـع القطـري بالوضع القومي ارتباطا وثيقا ومباشرا ٠ وفي ضوء هذا التقدير ، يدخل الوضع الداخلي للقطر في صلب وصميم الاستراتيجية الكبرى التي

ينتهجها • وتعتمد الاستراتيجية الكبرى عموما على جملة من المقومات الثابتة ، بالاضافة الى الوضع الداخلي •

مقومات الاستراتيجية الكبرى :

١ ــ الموقع الجغرافي :

ويلعب دورا مؤثرا وثابتا نسبيا في كثير من العوامل المؤثرة والدائمة التأثير في المقومات الاخرى للاستراتيجية الكبرى •

٢ ــ النظام الداخلي :

ويعني التماسك بين الجماهير في شرائحها المتعددة واصنافها المختلفة باعتبارها جسما واحدا وكلا مترابطا • ويحاول الاستعمار دائما أن ينسف هذا التماسك من الداخل وأن يتسلل من الثغرات المفتوحة او التي يمكن فتحها •

٣ ــ التكوين البشري :

ويعني ايضا التوزيع السكاني كما ونوعا • ويتعلق بالاختلاف بين المناطق المتعددة في الدولة الواحدة ، وطبيعة سكانها واعمارهم ومستواهم التقني والعلمي وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وانماط حياتهم •

٤ ــ التماسك السياسي :

ويدخل في صميم الاستراتيجية الكبرى • ويتعلق بالولاء المشترك والاستقرار العام والعمل التعاوني والتعاطف الوثيق بين الحاكمين والمواطنين من جهة ، وبين القوى السياسية الداخلية في الدولة من جهة اخرى •

٥ ـ الوضع الايديولوجي

ويعني الخط الفكري الثابت والمشترك للمسيرة الثورية . ويتعلق بوحدة الفكر التي تشتق منها وتقوم عليها وحدة العمل فضلا عن وحدة الهدف المنوي تحقيقه . ويلعب هذا الوضع دورا بارزا وربما كان حاسما في تطور المجتمع وتحرك القطر قوميا ودوليا . فاذا اختلفت وتعددت الافكار والآراء وجب العمل على توحيدها .

٦ ـ الوضع الاقتصادي :

ويلعب دورا مؤثرا ايضا في قوة الدولة وقدرتها على الحركة والمناورة والمبادرة والمقاومة . ويتوقف على كمية ونوعية ما تمتلكه الدولة من مصادر اولية استراتيجية ومدى توازن تجارتها الدولية استيرادا وتصديرا وتقدمها الصناعي . ومن الملاحظ ان عجز وافلاس اعداء النظام الثوري في القطر العراقي على الصعيد السياسي ، قد دفعهم الى التخريب الاقتصادي .

٧ ـ الوضع العسكري :

ويعني مستوى التدريب ومستوى التسليح ومستوى التخطيط الاستراتيجي في القوات المسلحة النظامية ، كما ونوعا ، وقدراتها على الهجوم والدفاع والردع سلما وحربا . ولكنه لا يتعلق بالقوات المسلحة النظامية فقط ، بل يتعلق ايضا بالقوات الشعبية المستعدة للقتال ، فضلا عن مدى استعداد كافة المواطنين للتضحية بحمل السلاح دفاعا عن شرف العقيدة وكرامة الامة وحريتها وسيادتها .

مقاييس نجاح الاستراتيجية

ومن المقرر ان الاستراتيجية الكبرى الناجحة ، لا يمكن ان تكتمل بمجرد فهمها وادراكها • لانها ليست علما من العلوم النظرية ، وليست موضوعا للفهم المجرد حسب • بل انها من العلوم التطبيقية العملية التي لا يقاس نجاحها بالفهم والادراك المجردين • وانما يقاس بامكانية تعاملها مع الوقائع الميدانية والمحسوسة تعاملا ناجحا وفعالا ، واستباقها للظروف والاحداث ، وقدراتها على مواجهة المتغيرات الجديدة والاخطار المحتملة ، وما تحققه من فوائد ومكاسب ، وما توفره من فرص وامكانيات •

ومن هنا ، ينبغي ان تتسم الاستراتيجيه المطلوبة او المقترحة بخصائص الواقعية والعقلانية والمستقبلية ، وان تكون على درجة عالية من المرونة والدقة والشمولية ، غير جامدة ولا عاطفية ولا خيالية ، لا تميل الى هذا التقدير للموقف او التصور للوضع ، او ذاك ، ولا تقطع الشك باليقين ، الا في ضوء الوقائع الثابتة والقرائن المشهودة • وتلك هي من الواجبات المهمة التي لا ينبغي ولا يجوز ان تغفلها اجهزة الامن على الصعيدين الداخلي والخارجي وفي الجانبين المادي والمعنوي ، وبالاخص من جهة أثرها على الوضع الداخلي والامن القطري • ولكن الاجهزة الخاصة مطالبة في هذا المجال بان لا يقتصر دورها على تقديم المعلومات وسرد الحقائق ونقل الوقائع فحسب • وانما ينبغي ان تتجاوز هذه المهمة البديهية — وهي اضعف الايمان — الى مهمة اهم وربما اصعب ، وهي التحليل الابتدائي والتقييم الاولي والربط بين الصعيدين الداخلي والخارجي والجانبين المادي والمعنوي واستخلاص

النتائج من المقدمات ، وتصور الاحتمالات وتحديد البدائل واكلافها سلبا وايجابا ، ولو بالحد الادنى على الاقل .

« لقد تعلمت في حياتي المبكرة انه لا سبيل الى مواجهة تحديات الحياة الا بتوقع الاحداث .. كذلك حياة الامة تتوقف قبل كل شيء على قدرتها على التنبؤ بتحديات المستقبل » . (*) .

مستويات الاستراتيجية الكبرى للدولة :

وتبدي الاستراتيجية الكبرى للدولة اهتماما فائقا بالقضايا التالية على المستويات المذكورة في ادناه : ـ

١ ـ القضايا السياسية :

أ ـ السياسة الداخلية .

ب ـ السياسة الخارجية .

٢ ـ القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية والاعلامية والثقافية والتنموية :

ومن الواضح ان تعامل الثورة مع هذه القضايا تعاملا موضوعيا وعقلانيا وعلميا ، اذا ما نسق تنسيقا صحيحا ودقيقا ومتوازنا ، فانه سيضع في ايدينا سلاحا فعالا ومؤثرا للمجابهة الناجحة مع القوى المضادة والجهات المعادية . وتعتمد جميع هذه العوامل على المتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية البعيدة عن المواقف العاطفية والاساليب الانفعالية والقرارات المرتجلة التي تضر ولا تنفع ، ولا تؤدي الا الى الوقوع في الدرب المسدود والفخ المنصوب والمأزق الحرج .

(*) أمين هويدي : الامن العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي . دار الطليعة. بيروت م. ١٩٧٥ . ص ١٠ .

كما ان الاستراتيجية الناجحة لا يمكن ان تكون متحجرة جامدة، بل تقتضي درجة معينة من المرونة تتناسب مع الاحداث المتغيرة والمفاجآت الطارئة او المتوقعة . وتلك هي الدوافع والاسباب التي تدعو الى ضرورة اختيار وتحديد البدائل في صلب تخطيط الاستراتيجية المقترحة .

وفضلا عن ذلك فان الاستراتيجية الناجحة ، تخطيطا او تنفيذا ، تستلزم الاخذ بالمرحلية . فكل عمل تاريخي عظيم ، لا يمكن الا ان يكون عملا مرحليا . لان الهدف النهائي لا يمكن ان يتحقق دفعة واحدة أو بين عشية وضحاها . وانما يتحقق على دفعات متعاقبة بجهود دائبة . ومن هنا ، يأتي التأكيد على اهمية التخطيط الاستراتيجي بالاضافة الى العمل المرحلي ، على ان تتذكر دائما ان كل مرحلة من مراحل الخطة الاستراتيجية الاساسية ، قد تختلف عن الاخرى بنسب مختلفة ودرجات متفاوتة ، من حيث القوى المعادية او الموالية والظروف المعرقلة أو المساعدة . وتعتمد مستلزمات الوضع الداخلي في أي قطر من الاقطار ، على طبيعة النظرة الاستراتيجية والسياسية العامة المقررة في القطر المذكور . ومن هنا ، فانها تختلف ايضا من قطر الى قطر باختلاف الاقطار ، وظروفها وخصائصها واهدافها ومصالحها . كما انها تختلف في وقت الحرب عنها في وقت السلم . ولكن القيادة الحكيمة للدولة تستعد للحرب ماديا ومعنويا في وقت السلم وتحتاط دائما للاسوأ من الاحتمالات .

ومثل هذا الاستعداد اهم اضعافا مضاعفة للقطر العراقي . لانه يعتبر الان بمثابة القاعدة المحررة والقلعة الحصينة للامة العربية جمعاء .

وقد أصبح قراره المستقل ونهجه المتميز وتوجهه القومي الاشتراكي ، هدفا يتوخاه الشعوبيون والتبعيون والخمينيون والخونة والعملاء والمنحرفون في الدس والتامر والتخريب .. ولا يغيب عن بالنا ما تعلمناه من دروس التاريخ . فاليابان مثلا كسبت كل المعارك التي خاضتها في الحرب العالمية الثانية ، ولكنها خسرت الحرب . ولا يمكن أن تكسب الحرب الطويلة الا اذا كسبت المعركة الاخيرة . ثم ان الدول والامم لا تموت قتلا بل انتحارا . ولا تسقط من الخارج بل من الداخل . وخذ مثلا فرنسا في اوائل الحرب العالمية الثانية . وقد كانت متفوقة على المانيا في العده والعدد . ولكنها اتبعت طريقة القتال المألوفة في الحرب العالمية الاولى (القتال الموضعي والدفاع الثابت) فتعرضت الى هزيمة منكرة . لان المانيا كانت قد تفوقت عليها في النوع ، والتخطيط الاستراتيجي المبدع الخلاق القائم على الحرب الخاطفة والضربة السريعة والمعركة المتحركة .

وفي ضوء ما تقدم ، يستوجب الوضع الراهن من العراق ، بتعرضه الى عمليات اختراق او تسلل من جانب الدول الاجنبية والمصالح المعادية والجهات الحاقدة او الطامعة ، ان يكون مستعدا دائما للاحتمالين : السلم والحرب ، بتوفير خطة مسبقة للحرب ، واخرى تنطوي على ترتيبات تتلاءم مع ظروف السلم ، وتؤدي في الحالتين الى تثبيت مواقع الثورة وتحقيق انتشارها وانتصارها ، والحرص على أن يكون تأثير العراق متصاعدا على الصعيدين القومي والعالمي . لان الحزب يسعى الى تعزيز مواقعه المؤثرة في الداخل والخارج ، وفي السلم والحرب معا .

ومن الواضح ان التخطيط الاستراتيجي الدقيق والاستعداد الجماهيري الشامل ، سيكسب وضعنا الداخلي من الحيوية المتوثبة والمناعة الواقية والحصانة المتينة ما يجعله قادرا على التصدي تصديا ناجحا وحاسما للتحديات التي تستغلها الدول الاستعمارية للنيل منا والتعرض لنا .

تهديدات الامن الداخلي :

١ ـ الكيان الصهيوني والامبريالية والتبعية وحلفائها من الرجعيين والشعوبيين .

٢ ـ العملاء باشكالهم المتعددة في الداخل والخارج . رتل خامس ، عملاء ، جواسيس ، قوى مضادة .

٣ ـ الدول المجاورة للعراق لاسيما المرتبطة بالشبكة الاستعمارية . ويبدو واضحا ان ايران الخميني تلعب دورا انشط في معاداة عراق الثورة من غيرها في المرحلة الراهنة .

٤ ـ التدخل الاجنبي المباشر وغير المباشر . وهذا التدخل غير المباشر يعتمد اساليب وخطط عديدة لايجاد موضع قدم في القطر في كل قطاع وبشتى الصيغ . ويعتبر الاستعمار ان احسن المناطق التي يمكن ان يستخدمها حاليا هي المنطقة الشمالية . ويعتمدها كهدف مباشر ومؤثر .

٥ ـ تحاول الدول الامبريالية بين فترة واخرى اثارة مشاكل حدودية للعراق بواسطة الدول التي تجاورنا .

٦ ـ استغلال اي خلل او اختناق اجتماعي وسياسي واقتصادي في الداخل .

أساليب الامبريالية في الداخل :

تختلف هذه الاساليب باختلاف المراحل والظروف . فالاسلوب المستخدم في مرحلة معينة قد يستبدل بأسلوب آخر في مرحلة لاحقة . وقد يتم تنويم اسلوب معين في مرحلة من المراحل ، ثم يصار الى ايقاظه واستخدامه في مرحلة اخرى . والطائفية في العراق هي من اخطر الاسلحة التي تستخدمها الامبريالية . وهدفها تفتيت وحدة القيادة والشعب ، وتقسيم المجتمع الى وحدات متناحرة ومتصارعة ، وتمزيق الولاء للوطن وللحزب وللثورة وللامة ، واستبداله باشكال ضيقة ومتخلفة وبدائية من الولاء الطائفي والعشائري والاقليمي والاممي الشعوبي التبعي . ومن الممكن ان تؤدي الطائفية الى عواقب وخيمة واضرار جسيمة ، كما حدث في ايران ولبنان . وتسعى الامبريالية جاهدة الى تصدير امراض ايران الخميني الى العراق للتأثير على أمنه الداخلي واستقراره السياسي . ومن الجدير بالاهتمام الفائق والانتباه الواعي ان هذه الاخطار والامراض تنتقل ابتداء بصيغ بسيطة وتافهة وغير منظورة . ولكنها تستوجب الرصد الدقيق والتحليل المتواصل . وقد تستغل هذه الظواهر بواجهات عديدة واحزاب مختلفة . ومن الاحزاب البارزة على هذا الصعيد حزب التحرير وحزب الدعوة . واخطرها حزب الدعوة لانه استحوذ ولا يزال على امكانيات كبيرة من ايران الخميني ماديا ومعنويا .

ومنها ايضا الاخوان المسلمون المعروفون بارتباطاتهم المشبوهة مع دول اجنبية معادية ثم يأتي دور الاحزاب المسيحية وكلها ترتبط بمخططات اجنبية وعلاقات وثيقة مع عدد من الدول المعادية والطامعة التي تمدها بالدعم والتوجيه . فضلا عن العصبيات القبلية والعائلية

التي لم يسقطها الاستعمار من حساباته ومخططاته، وان كان الجيل الحالي من ابناء امتنا قد تجاوزها الى حد بعيد بثقافته العلمية ونظرته العصرية وقاعدته العقائدية . ومن الاساليب الاخرى التي تلجأ اليها وتستعين بها الدول الامبريالية والمعادية ، ما يتعلق بسلاح الاشاعة ومن العوامل التي تساعدها في استغلال هذا السلاح ، ان تجد في قطاعات واسعة وشرائح عريضة من شعبنا مناخا تاريخيا صالحا للوقوع في هذا المطب بالتقبل والنقل . وفي ضوء ما تقدم ، ينبغي تحليل كل اشاعة وتحديد الاهداف التي تتوخاها والقطاعات التي تخاطبها . ومن تلك الاساليب ايضا عمليات غسل الدماغ والحروب النفسية والدعايات المعادية التي تروجها الصحف والاذاعات الاجنبية . وترمي عملية غسل الدماغ الى استبعاد كافة المبادىء الوطنية والتوجهات القومية من العقول والاذهان واستبدالها بارتباطات اجنبية وقيم مشبوهة ، تحيل المواطن الى عدو لوطنه وتسلخه عن مجتمعه وتاريخه وتراثه ، وتعود بالفائدة على الدول المعادية .

ومن هنا ، يحتل الرتل الخامس او الطابور الخامس مركزا اساسيا في تلك الاساليب . وكل حزب او تجمع عراقي يتخلى عن وطنيته ينقلب بالنتيجة الاخيرة الى رتل خامس ، يشتغل في التخريب الداخلي والتشكيك بقدرات العراق . وهي كلها من الاسس المركزية في حسابات الدعاية المعادية . وقد يتخذ التشكيك شكلا اقتصاديا مثل التشكيك بصناعاتنا الوطنية ، ونوعيتها او جودتها او قدرتها على تلبية الاحتياجات او ضرورة تنميتها وحمايتها .

مجابهة التهديد :

١ ــ تنظيم وتوعية الجماهير .

٢ ــ تدعيم وتطوير الجيش الشعبي الذي يعتبر من اهم الوسائل المضافة التي تدعم جيشنا النظامي .

٣ ــ تعزيز التحالف الوطني والجبهوي وتوطيد العلاقات بين القوى السياسية الوطنية الداخلية .

٤ ــ تحقيق استراتيجية الحد الادنى على الاقل من التعاون الوثيق والتنسيق الدقيق مع الدول العربية الشقيقة ولا سيما التي تنتهج سياسة قومية وما يعتبره حزبنا (حزب البعث العربي الاشتراكي) حدا ادنى في نطاق العمل الممكن والواقع الراهن ، لانه لا يمثل طموحنا البعيد . يعتبر حدا اعلى في تقدير اطراف عربية اخرى .

٥ ــ ترتيب الاوضاع الداخلية السياسية والاقتصادية والعسكرية استعدادا للطوارىء .

٦ ــ تطوير العلاقة مع الدول الصديقة وتدعيمها مع دول عدم الانحياز .

٧ ــ بذل الجهد الاقصى الممكن منعا من الالتقاء في السياسات بين الدول المعادية للعراق او بعبارة اخرى ، ان وجد طرفان معاديان للعراق ، فمن الافضل ان يمارس كل منهما عداءه في معزل عن الاخر اذا امكن .

٨ ـ ان تكون لدينا الوسائل التي تؤثر عند الحاجة في الدول المجاورة ولا تفسح لها المجال ان تؤثر فينا •

ومن هنا ، وفي ضوء هذا التقديـر ، ينبغي ان نحتفظ دائمـا بمعلومات دقيقة وكافية عن الوضع الداخلي في ايران والدول المجاورة غير العربيـة •

واستراتيجيتنا هي أن لا تتدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة وان لا نسمح لاية دولة ان تتدخل في شؤوننا الداخلية • ولكنها اذا فعلت فينبغي ان نكون على استعداد دائم لمقابلتها بالمثل •

الفصل الثاني

دور الأجهزة الأمنية في الحفاظ على منجزات الثـورة ومكاسب الجمـاهير(*)

ايها الاخوه الاعزاء :

يسعدني ويشرفني ان نلتقي في هذه المناسـبة التي اتاحتها دائرة التوجيه السياسي في مديرية الشـرطة العامـة للتحدث عن موضـوع من اخطر الموضوعات التي تهم قطرنا المناضل ونشاطنا القومي الشامل. واعرب عن شكري وتقديري للقائمين بأعداد هذه الندوة . وارجو ان تؤدي مثل هذه الجهود الطيبة الى تحقيق الغاية المرجوّة في ايجاد افضل الصيغ للدفاع عن منجزات الثورة ومكاسـب الجماهير وحزبها القائد حزب البعث العربي الاشتراكي .

الامن الداخلي والامن القومي :

وسوف يكون حديثي وجيزا يتعلق بأهم النقاط التي قد تسلط الاضواء على القضايا التي ترتبط بمفهوم الامن الداخلي وعلاقته بالامن القومي ودوره في الحفاظ على مكاسـب الجماهير . ومن الواضح ان

(*) محاضرة القيت في سياق الموسم الثقافي الذي اقامته مديرية الشرطة العامة بتاريخ ١٠ ـ ١٠ ـ ١٩٧٩ في قاعة بهو كلية الشرطة .

دور الاجهزة الامنيــة

قضية الامن الداخلي تشمل موضوعا حيويا ومجالا واسعا يتطلب من الباحث او المتحدث ان يستوفيه بالتفصيل وان يغطيه من كافة الجوانب. ويبدو ان الامن الداخلي بمعناه العلمي والعملي لم ينل حتى الان حظا كافيا او قسطا وافيا من الايضاح الدقيق والشرح المستفيض . وبعبارة اخرى لم تتوصل الجهات المعنية في الامن الداخلي الى معادلــة محددة او صيغة مناسبة عن واجباته واجهزته . وفضلا عن ذلك فأن اجهزة الامن الداخلي لا تزال تعمل خارج اطارها الحقيقي ونهجها الصحيح الى حد بعيد وبالاخص من ناحية علاقتها بالتحولات الاشتراكية في قطرنا . وقد يرى البعض من أعضاء اجهزتنا ان اعمالها لا تتجاوز المهمات الروتينية والواجبات الادارية التي ظهرت الى الوجود مع قيام الدولة العراقية في أواخر الربع الاول من القرن العشرين. ونستطيع أن نقول ان هذه الظاهرة قد لازمت مسيرة اجهزة قوى الامن الداخلي في مرحلة سابقة منذ بداية ظهورها ، وان بقاياها ورواسبها لا تزال قائمة الى حد ما حتى يومنا هذا. وينبغي في تقديرنا الان ان يطرأ نــوع من التغيير في الحد الادنى على الاقل في المرحلة المقبلــة لان الامن الداخلي في القطر وفي كل دولة من دول العالم يدخل في الحساب ويؤخذ بنظر الاعتبار في كل القرارات التي تتخذها السلطة السياسية . ولا مندوحة للحاكم اذا اتخذ قرارا ســواء كان ثوريا أو تقليديا من ان يرجع الى مكونات وظروف وضعه الداخلي .

وفي ضوء ذلك يبدو جليا ان الوضع الداخلــي والأمني يعتبر من اخطر المسائل التي يتطرق لها وينطوي عليها النقاش المسبق للقرار المتخذ. ومن هنا يمكن ان نقرر ان قوى واجهزة الامن الداخلي هي من اخطر واهم الادوات التي تترجـم القرارات التي تتخذهــا القيادة في كافــة المجالات . ولا فائدة من الحديث عن الامن الداخلي اذا لم يصاحبه فهم

من الاجهزة والقوى المعنية للوضع السياسي بالحد الادنى . والواقع ان الحديث عن الامن يعني الحديث عن السياسة والاقتصاد وحركة الجماهير والمنجزات المتحققة بالفعل او السائرة في طريق التحقق . فمن الضروري اذن ان نعرف اولا الموقع الذي تشغله قوى الامن الداخلي في الحركة اليومية للثورة وعلاقة تلك القوى بالقرارات التي تتخذ من جهة وبالجماهير في حركتها اليومية من جهة اخرى والدور الذي تلعبه تلك القوى وما تقدمه من فوائد وخدمات على طريق تنفيذ وانجاز اهداف حزبها وثورتها . ومن هـــذا المنطلق لا يمكن النظر الى الامن الداخلي بمعزل عن الامن القومي الذي يشمل الواقع والاحداث في الدول العربية والدول المجاورة المحيطة بالعراق . نحن في الواقع معنيون ومهتمون بالدرجـــة الاولى بالمسائل التي تتعلق بالامن الداخلي مباشرة . ولكن هذه المسائل نفسها تدعونا وجوبا الى الاهتمام بالامن الخارجي . لان كثيرا من المشـــاكل والمصاعب التي قد نجابهها في شؤوننا اليومية وأوضاعنا الداخلية تعود اسبابها وترجع جذورها الى ما يدور في الساحة العربية او الدول المجاورة. وهناك اذن علاقة معينة ربما تكون قوية احيانا بين الامن الداخلي والامن القومي والامن العالمي . تلك هي شروط وضرورات امتلاك ثقافة الحد الادنى من معرفة احداث واوضاع الدول العربية والمجاورة التي يتأثر امن العراق بأمنها تأثرا مباشرا . ولعل هذا الاستعراض السريع للمسألة الامنية ، يساعد قوى واجهزة الامن الداخلي وقيادتها على تأدية واجباتهم بأكمل صيغة وافضل صورة ، تأدية واعية وجيدة ومتفهمة . لان العمل المفتقر الى هـــذه المقومات والمنعزل عن هـــذه العوامل قد لا ينفع ومن المحتمل ان يضر لان تلك المقومات والعوامل تلعب دورا بارزا في اضعاف او تقوية الامن الداخلي . وتلك هي المســائل والقضايا التي ينبغي ان

تتحدث عنها وان تتطرق لها وان نواجهها بأشكال وصيغ متعددة ومختلفة انطلاقا من مشاكلنا واوضاعنا واهدافنا . نحن مثلا قد لا نجابه المشاكل التي تجابهها ايران بنفس الصيغ والشعارات والحلول . ولكن الاطلاع على ما تعيشه الدول المجاورة قد يسهل علينا ان نعرف كيف نجابه هذه الاخطار التي ادت الى التدهور الراهن في ايران فضلا عن ادراك العوامل والمؤثرات التي قد تتعرض لهــا ونعاني منهــا بفعل النتائج والمواقف والتطورات التي ترتبط بالوضع الداخلي في ايران .

نظرات خاطئه :

ومن الخطأ الفادح ان يتصور احد ان المسائل او المشــاكل التي تحدث في الدول المجاورة لا تترك اثرا ولا تلعــب دورا في حســابات واوضاع امننا الداخلي . وهناك اخطاء اخرى طرأت على مفهوم الامن . ومن أبرزها أن يتصور البعض ان أمن القطر يقتصر على الجانب العسكري فقط . وتعتقد هذه النظرة الخاطئة ان القطر اذا امتلك القوات المسلحة واذا كانت هــذه القوات المسلحة قد امتلكت ما تحتاجه من الاسلحة الحديثة ، فان شروط ومستلزمات الامن تكون قد تحققت واستوفيت. وحينذاك تكون القوات المسلحة في وضعها المذكور هي السند الوحيد للامن الداخلي ، اما قوى الامن الداخلي فسوف لا تتعدى مهماتها حدود الواجبات الروتينية التي تتولاها الشرطة والمباحث الجنائيــة وقضايا السفر والجنسية . ان الاوضاع الجديدة قد القت على كاهل قوى الامن الداخلي واجبات جديدة ينبغي أن تتفهمها وتمارسها بمنظور ثوري متطور وجديد .

ونحن لم نقف على هذا المنبر بغرض كيل المديح وتوجيه الثناء أو الاكتفاء بابراز الايجابيات فقط وهي كثيرة وتدعو الى اعتزازنا وفخرنا بأعتبارنا اجهزة وقوى امن ومنظمات حزبية • ومن واجبنا ان نمارس النقد الذاتي والموضوعي للنفس والواقع نقــدا خلاقا بناء يؤدي الى تطوير الاوضاع وتشخيص الاخطاء وسد الفجوات والثغرات ان وجدت• لقد استطاعت القيادة السياسية بحزمها وصبرها وتخطيطها ان توفر جوا من الاستقرار والطمأنينة في القطر العراقي لم يتوفر في المنطقة وفي كثير من اجزاء العالم • ولكن هذا الشعور ينبغي ان لا يدفعنا الى الاسترخاء او الوهن بأعتبارنا الجهة المسؤولة عن تأمين واستمرار هذا الاستقرار • فلا يجوز ان يقال ان العراق قوي ومستقر ، اذن فلنستسلم الى الارتياح وايثار العافية وكفى الله المؤمنين شر القتال •

تلك هي نظرة خاطئة اخرى نشخصها لكم ونطرحها عليكم • وينبغي ان نسأل انفسنا كيف امكن ان يتحقق مثل هــذا الاستقرار ؟ وماهي الشروط والعوامل الداخلية والخارجية الذاتية والموضوعية التي ادت بتظافرها الى تحقيق مثل هذا الاستقرار في القطر العراقي ؟ ونعتقد ان الجواب على هذا السؤال يتطلب مواجهــة سؤال آخر مفاده كما يلي : ما هي الاعمال أو الواجبات الملقاة على عاتق قوى الامن الداخلي التي من شأنها ان تعزز مثل هــذا الاستقرار وان تديمه الى مراحل قادمة ؟ ذلك لان الاستقرار يقوم على جملة من الشروط والمقومات ويعتمد على حصيلة من العوامل المادية والمعنوية والبشرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية • ونحن في قوى الامن الداخلي نعلم ان شعبنا الآن يدافع ويناضل ويقيم افضل الروابط واطيب العلاقات مع المنظمات الحزبية ، ومع قوى الامن الداخلي ومع الشرطي والضابط • ولكن مثل هــذه

الروابط والعلاقات قد نشـــأت ايضا وقامت بفعل جملة من الشــروط والظروف والوقائع • فينبغي اذن أن نبحث عن وسائل اخرى واساليب مضافة في المحافظة على الاستقرار من شأنها ان تديم وتدعم مثل هذه العلاقات والروابط وليس من الصحيح ان ننام على واقع جميل دون تحسبا وحذرا واحتياطا من ان نصحو على كابوس رهيب • تلك هي نظـــرة تقليدية خاطئة تستدعي اليقظة والمجابهة الواعية والمقارعة الدائبة • قلت في بداية حديثي ان الامن الداخلي يعني السياســـة • ولكن الوضـــع السياسي الذي وصفناه قد يختلف ويتغير بعد شهر او سنة او اكثر • ولا يمكن ان نفترض ان العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت على توفير الاستقرار ستستمر كما هي وتدوم على حالها • من هنا اصبح من واجب قـــوى الامن الداخلي ان تدرس ظاهرتي الاستقرار وعدم الاستقرار دراسة علمية دقيقة هدفها الألمام بالعوامل المختلفة سلبا وايجابا • وينبغي ان نفترض في كل لحظة ان القوى المضادة والجهات المعادية تبذل ما بوسعها من جهد في البحث عن فجوات للتسلل واســـاليب للاستغلال هدفها خلق ظروف غير اعتيادية واجواء غير طبيعية بوجه النظام الثوري في القطر العراقي • وينبغي الامتناع عن الاكتفاء بالاعتماد على التزام المواطنين وحبهم للمجتمع واخلاصهم للنظام الثوري • فهذه أيضا نظرة قاصرة وربما خاطئة • وينبغي ان لا نفترض ان المجتمع طالما يؤيد الثورة وحزبها القائد اليوم ، فأن هذا التأييد لن يتعرض في يوم من الايام الى مشاكل او عوامل قد تؤثر على هذه العلاقة سلبا او ايجابا صعودا او هبوطا مدا او جزرا ، بحيث تختلف عن هذا النحو بأختلاف الظروف والمراحل • لان السياسة لا تعرف شيئا مطلقا او شيئا مستحيلا • ففي السياسة كل شيء محتمل وكل شيء جائز وكل شيء متوقع • ومن هنا ،

ينبغي ان نناقش هذه المسائل باستمرار حتى نستطيع ان نعالج الظواهر التي قد تجابهها الثورة •

الاساليب المعادية والمراحل المختلفة :

ونلاحظ ان قوى الثورة المضادة قد لجأت الى استخدام وسائل متعددة واساليب مختلفة منذ انبثاق ثورة السابع عشر من تموز الى هذه اللحظة • ولكن هدفها كان واحدا في جميع الظروف والاحوال ويتلخص في محاولة وضع العصي في عجلة النهضـــة واجهاض ثورتنـــا في القطر العراقي • والحقيقة هي ان الجماهير تمتاز بانها ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان • والواقع ان الاساليب والوسائل التي اتبعتها واستخدمتهـــا قوى الثورة المضادة قد غابت عن بال الجماهير مع مرور الايام • ومن واجب قوى الامن الداخلي ان تكون قويـــة الذاكرة فلا تنسى تلك الوســـائل والاســـاليب والتصرفات وان تعمد بين فترة واخـــرى الى استعراض بسيط وتحليل مستعاد للربط بين الاساليب التي اتبعت في مرحلة سابقة قبل عشر او خمس سنوات وبين الاساليب التي قد تتبع في مرحلة لاحقة الآن او في المستقبل •

ويبدو للاسف ان هناك ظاهرة نعانيها الآن ، وهي ان يقع الحدث ويعالج وتتحقق نجاحـــات وترتكب اخطاء ، ولكننا ننتهي من تحليل الحدث بانتهاء مفعوله في المجتمع • وتلك واحدة من اخطر الآفات التي يمكن ان تصيب قوى الامن الداخلي المســـؤولة عن أمن هذا القطر • والواجب يحتم ان نقوم بتحليل الاخطاء التي ارتكبناها في التعامل مع حدث معين على أقل تقدير • ولكن الواقع مختلف للاسف لان السائد عند معالجة ظاهرة سلبية تتعرض للاستقرار في القطر العراقي وطريقة

تصدينا لها وردنا عليها ، ان نكتفي بعد الانتصار بالحديث عن الايجابيات التي كان ينبغي ان يترك تقدير عرضها واسلوبه واستثمارهـا للقيادة السياسية لانها لا تدخل في واجب او اختصاص قوى الامن الداخلي الا بالقدر الذي يعزز الجانب المعنوي للقوى المذكورة • والاهم من ذلك ان نتحدث عن الاخطاء ونستوعبها تجنبا للوقوع في خطيئة تكرارها في مرحلة لاحقة • ومن الواضح ان تحليل الاخطاء يسلحنا بالخبرة والتجربة في مواجهة الاخطار المقبلة او الاساليب اللاحقة التي تنتهجها قوى الثورة المضادة • ومن الملاحظ ان اساليب قوى الثورة المضادة تتعقد وتختلف وتتبدل باختلاف وتعاقب المراحل والاشواط التي تقطعها قوى الثورة وما تحققه في سياقها من منجزات ومكاسب • فتميل قوى الثورة المضادة في بداية الثورة ومراحلها الاولى الى انتهاج اساليب المواجهة • وتتسم هذه الاساليب بانها متعددة ومكشوفة وربما مباشرة وتحتاج الى صيغ مختلفة للتصدي لها والرد عليها عن تلك التي تحتاجها في المراحل اللاحقة• ومن هنا تحتاج قوى الامن الداخلي الى الابتعاد عن الانعزال أو الاكتفاء بالواجب التقليدي المألوف •

قوى الامن الداخلي وجماهير الشعب : ـ

ويصبح من الضروري ان تطلع وتتابع تلك القوى اوضاع الجماهير وتطوراتها نفسيا واجتماعيا واقتصـاديا وثقافيـا وان ترقب عن كثب ما يحدث من تغييرات سريعة ومتواصلة في هـذه الميادين والحقول ، والا فأن تلك القوى ستصاب بالعزلة وستحرم نفسها من ميزات وفوائد تفهم الجماهير وتعاطفها وتعاونهـا في التدابير التي تتخذهـا • الا ان اجهزتنا الامنية لازالت تتمسك بالاساليب القديمة التي لم تعد صالحة أو مجدية في الظروف الجديدة • علما ان القوانين والانظمـة الموجودة

حاليا يمكن تطبيقها كما هي دون ان تفقد شيئا من مفعولها او تأثيرها . ولكن بأساليب اكثر مرونة واكثر حضارية تؤدي الى بناء علاقات ايجابية وروابط متينة بين اجهزتنا وجماهيرنا . وينبغي استبعاد طريقة الوعظ لانها مؤذية وغير ناجحة في تعزيز جسور التفاهم وحلقات الوصل بين تلك الاجهزة وهذه الجماهير . واذا استمر الحال على هذا المنوال ، فلا نستغرب اذا تعرضت تلك الحلقات والجسور الى الضعف والوهن . ومن الواضــح ان سـلوك قوى الامن الداخلي طريق فهــم وادراك واستيعاب بل واستباق تطور المجتمع ليس سهلا . ويستلزم امتلاكنا نوعا من الثقافة العامة تساعدنا على اقل تقدير في تنفيذ مهماتنا في المجتمع دون استثارة العداء او استفزاز التعارض ودون ان نواجه المواطنين بوجه غير الوجه المشرق الذي تريده الثورة من هذه الاجهزة . تحتاج قوى الامن الداخلي اذن الى ثقافة عامة وليس الى دراسة معمقة في مسائل معينة : مثلا كيف يفكر المواطن العراقي ؟ وكيف ينظر الى قوى الامن الداخلي ولماذا ؟ وما هي الاشياء او الاساليب التي تدعوه الى القلق او الانزعاج او النفور ؟ ينبغي اذن ان نفهم جيدا ان المواطن العادي او المثقف ينظر الى ما قد نعتبره من الشكليات البسيطة نظرته الى ظاهرة هامة وخطيرة، تستحق ان نوليها الاهتمام الفائق والحرص الشديد . ومن الخطأ ان يتصور احد ان قوى الامن الداخلي لا يعنيها ان تفهم ما يتواجد على الساحة العراقية من احزاب معادية .. لان تشخيص وفهم تلك الاحزاب في المرحلة الراهنة يساعد على تأدية افضل للواجب . نحتاج اذن الى مثل هــذه المعلومات للتعرف على تشكيلات تلك الاحزاب ودوافعها واهدافها واساليبها وصولا الى ادراك كامل وتصور دقيق للوضع القائم والواقع الموجود وعلاقاتهما واحتمالاتهما .

اجهزة الامن الداخلي وضرورة تعاونها :

دعونا نلقي نظرة خاطفة على خصائص وواجبات اجهزة الامن من جهة واجهزة الشرطة من جهة اخرى • يتصور الكثيرون ان الاعمال ذات الطابع السياسي تقع في نطاق مسؤولية اجهزة الامن ، وان الاعمال ذات الطابع الاجرامي او الجنائي تقع في نطاق اختصاص الشــرطة ولا تعني الامن في شيء • ان مثل هذه النظرة الضيقة والمتزمتة تنطوي على محاذير عديدة واخطاء فادحة • وينبغي استبدالها بنظرة ثورية جديدة تتســم بدرجة عالية من المرونة تأخذ بنظر الاعتبار وحدة الاجهــزة وتداخل مهماتها واختصاصاتها وضرورة تعاونها وتكاملها • فهل يجوز أن يكون ضابط الامن حاضرا وقت وقوع جريمــة فلا يتدخل على اعتبــار انها لا تحمل طابعا سياســيا ؟ وهل يجوز ان يكون ضابط الشرطة حاضرا وقت وقوع حادثة سياسية مضادة فيقف متفرجا ولا يتدخل على اعتبار انها لا تحمل طابعا جنائيا ؟ هذا طبعا لا يمكن ان يكون معقولا ، وليس جائزا ان تتمسك بمثل هذه النظرة ثم نريد بعد ذلك ان يدوم الامن وان يستمر الاستقرار في القطر العراقي •

اساليب معادية مضافه :

ونعود الى الاساليب التي اتبعتها قوى الثورة المضــادة • وقد وصفناها وافدنا انها قد فشلت في تحقيق الاهداف التي توختها • فيلزم الان اذن ان نقوم بتحليل الاساليب التي تتوقع ان تنتهجها قوى الثورة المضادة في المستقبل • ونستطيع ان نقول الصورة واضحة حاليا كــل الوضوح في اذهاننــا • لقد اتبعت تلك القوى كل الاساليب المتوفرة والممكنة والمتاحة في نطاق الظروف التي كانت قائمة • وبقيت في جعبتها

بعض الاساليب التي لم تستخدمها على الاطلاق او لم تستخدمها استخداما رئيسيا مكثفا الى حد الآن ، وأولها وابرزها المسألة الاقتصادية • وهي المسألة الوحيدة التي أستغلت في الفترة الأخيره ومن هنا ينبغي ان تمتلك اجهزة الامن نوعا من الثقافة الاقتصادية التي تتعلق بالدور الذي يلعبه الاقتصاد وتأثيره على الوضع السياسي والعلاقة بين الاقتصاد والمواطن • وهناك اسلوب آخر يتعلق بتمزيق الولاء وتفتيت المجتمع عن طريق الطائفية والحزازات العائلية ونشر الفتن والاضطرابات صرفا للمواطنين عن ارتباطاتهم المعنوية بالقيادة السياسية والنظام الجديد والحزب القائد • ونعتقد ان الدراية المسبقة بهذه الظواهر وتحليلها تحليلا دقيقا كاملا سيتيح للقوى المسؤولة عن الامن الداخلي ان تكون الظهير اليقظ والسند المستعد للامن القطري والامن القومي معا وان توفر خطوطا خلفية متينة للخطوط الامامية التي تشغلها القوات المسلحة• وقد استعرضنا الاخطار التي نتوقعها من الامبريالية استعراضا سريعا تاركين للباحثين والمناقشين مجالا فسيحا للدخول الى تفاصيلها ودقائقها، وهي ليست مجهولة لدينا • ولكن المهم ان نعتني بجمعها وتحليلها وربطها واستخراج احتمالاتها الممكنة ونتائجها المتوقعة •

الامن الداخلي والدور القومي :

ونتنقل الان الى التأكيد على توجيهات القيادة السياسية ودور الحزب القائد من الناحية القومية • وتلك مسائل ينبغي ان تكون موضوعا للدرس والادراك والاستيعاب ، وصولا للفهم الواضح المتعلق بموقع الامن الداخلي للقطر العراقي في المسألة القومية • وقد افدت سابقا ان الامن الداخلي يدخل في مكونات صنع القرار السياسي للقائد

السياسي في كافة المجالات • ومن الواضح ان القيادة السياسية وحزبنا القائد يعيران أهمية قصوى للمســألة الفلسطينية ويعتبرانها القضيــة المركزية الاولى • ومن هنا ، وجب ان نسأل انفسنا ما هو الدور الذي يلعبه الامن الداخلي للقطر العراقي في الامن القومي العربي ؟ من المعلوم ان الأمن القومي يشمل العديد من الجوانب والقضايا والاهتمامات • ونحن نقتصر الآن في هذا الموضوع على جانب واحد فقط ينحصر في علاقة الأمن الداخلي او القطري بالامن القومي • والواقع ان القرارات التي يتخذها القطر العراقي في القضية الفلسطينية او التحرك القومي في الوطن العربي تعتمد اعتمادا كليا على القاعدة المحررة للامة العربية وهي العراق الذي يعتبر المرتكز القومي الوحيد للمنطقة العربية • وكلما كان هذا المرتكز أصلب وأمتن وأثبت ، وكلما كانت مقومات ومســتلزمات الوضع الداخلي والامن القطري للعراق افضل واقوى وارسخ ، كلما كانت تدابير وتحركات الحزب والقطر في الساحة العربية تتمتع بدرجة اعظم من الحرية وفسحة اوسع من القدرة للتأثير والفعل •

وفي ضوء ما تقدم ، يبدو جليا ان الامن الداخلي للقطر العــراقي يلعب دورا غير مباشر في تأمين الامن القومي للمنطقة العربية بكاملها • لانه يفسح المجال للحزب والقطر ان يتحركا قوميا وعالميا بكل حرية دون عائق او مانع •

الامن الداخلي وصنع القرار السياسي :

ومن الواضح ، ان القرارات التي تتخذها القيادة السياسية على الصعيدين العربي والدولي تنطلق من عدة مقومات • منها ، على سبيل المثال ، مايتعلق بالجانب القومي والجانب الاقتصادي والجانب العسكري

فضلاً عن الجانب الامني ايضـــا بالدرجة الاولى • فاذا اراد القائد ان يتخذ قرارا مثلا يؤدي الى نقل جزء من قواته الى خـــارج الحـــدود الاقليمية للقطر ، فانه يفكر اولا ويأخذ بنظر الاعتبار اساسا ويدخل في الحساب ناحية جوهرية هي وضعه الداخلي • ويسأل نفسه هل ان الجبهة الداخلية مستقرة ؟ وهل استطاع فعلا تأمين الاستقرار الداخلي ؟ وهل ان الوضع الداخلي متين ؟ تلك هي الاسئلة والتقديرات التي تلعب دورا حاسما في صنع واتخاذ القرار • وتلك هي ايضا العلاقة الوثيقة بين الامن الداخلي للقطر العراقي والامن القومي للشعب العربي على امتداد وطنه الكبير الواحد •

التهديدات الامبريالية للامن الداخلي : ــ

ويمكن ان يقال ان تهديدات الامبريالية للامن الداخلي تنقسم الى نوعين :

الاول : استخدمته في مرحلة معينة ثم تجاوزته في مرحلة متأخرة •

والثاني : لازالت تمارسه وتتبعه •

ومن المهم ان ندرس هذا النوع من التهديدات لان الامبريالية لم تتجاوز اساليب هذا النوع من التهديدات وانما اكتفت بتجميده على امل احيائه في مرحلة لاحقة اذا سنحت الفرص وساعدت الظروف • ومن هذه الاساليب ما يتوخى ان يديم الوضع الشـــاذ في شمال الوطن وان يثير باستمرار المسألة الكردية • وتعتبر هذه المسألة من الاوراق التي تلعبها الامبريالية بأساليب واشكال تختلف بأختلاف الظروف والمراحل • فهي تطرحها اليوم بشكل وبعد سنة او سنتين بشكل آخر • ويلزم في الحديث عن هذه الاخطار ان يتوفر الفهم الواضح والاطلاع الدقيق على اساليب

التهديد التي تتبعها الامبريالية ونقاط الضعف التي تستغلها وتستثمرها. ونحن نتوقع اذا جمدت هذه المسألة اليوم فانها سوف لا تجمد مستقبلا في مناسبات اخرى واوقات مختلفة . وتتميز التهديدات التي اشرنا لها وتحدثنا عنها بانها تهديدات مباشرة ، واخرى غير مباشرة . ولكن ينبغي ان ندرك جيدا ان التهديدات الداخلية او المباشرة والتهديدات الخارجية أو غير المباشرة تؤدي الى تحقيق غرض واحد . حيث تختلف الاساليب التي تتبع . واذا لم يستطع العدو ان يهددك من الداخل ، فأنه سيهددك من الخارج . ولكنه في جميــع الظروف يحاول ان يحقق اقصى درجة ممكنة من التضافر بين هذين النوعين من التهديدات وصولا الى زعزعة الاستقرار واضعاف الاطمئنان متيحا بذلك للقوى المضادة ان تمارس التأثير المقصود في وضع افضل واسهل . ومن المسائل التي تعتبر ايضا من تهديدات الامن الداخلي ما يتعلق بالحدود المشتركة للدول المجاورة الصديقة وغير الصديقة . وفي العلاقات الدولية لا توجد صداقة دائمة او عداوة دائمة . فصديقك اليوم يمكن ان يكون عدوك في المستقبل . وعدوك اليوم يمكن ان يجد نفسه ملزما حفاظا على مصالحه القومية ان يكون صديقك في فترة لاحقة . وهكذا نجد ان التهديدات التي تتعرض للامن الداخلي قد تتخذ شكل الخلافات على الحدود وخاصة قضايــا ترسيم الحدود مع الدول المجاورة . وهذا سلاح تشهره الاطراف الاخرى للضغط على الدول المعنية في ظروف معينة وحالات عديدة . والمهم في هذا الموضوع ان نفهم تماما هذه الاوراق التي تلعبها القوى الدولية . ومن غير

المعقول ان تمتلك دولة ورقة رابحة ضد دولة اخرى ثم لا تستخدمها للوصول الى تحقيق او حفظ مصالحها الخاصة . وهذه مسألة مشروعة وظاهرة موجودة وحقيقة قائمة . ونحن ايضا بنفس الوقت اذا امتلكنا ورقــة معينة فاننا سوف لا نتوانى في استخدامها دفاعا عن حقنــا وحفاظا على مصالح شعبنا ووطننا . والآن ، نستطيع ان نشخص اخطر اسلوب من الاساليب التي تشكل تهديدا مباشرا وغير مباشر معا للامن الداخلي في القطر العراقي . ونعني بذلك المحاولات التي تبذل بهدف تشويه النظام السياسي والعمل الوطني والبناء الجديد وتشويه الانجازات الاشتراكية والتطبيقات الثورية التي تحققت على الصعيد الداخلي في القطر العراقي . وتعتبر هذه المحاولات في الحقيقــة من اخطر الحلقــات التي يجب ان تستدعي وعينا وتشد انتباهنا في هذه المرحلة ، لان العلاقة الايجابيــة الوثيقة التي قامت بين اوسع الجماهير وقيادة الحزب ، تعتمد بالدرجة الاولى على هــذه التحولات وتأثيرهــا في المواطن ومدى اقتناعه بها وارتياحه منها . لان تلك التحولات ترتبط ارتباطا مباشرا بمصالح اوسع الجماهير التي تبدي استعدادا للدفاع ، او تدافع بالفعل عن منجزات الثورة .

ويكون دور اجهزة قوى الامن الداخلي من هذه الناحية ان تقوم بتسليط الاضواء على الفجوات المفتوحة وكشف العناصــر المعاديــة وتشخيص الاجواء السلبية والاساليب المضادة التي تحاول تشويه النظام الاشتراكي في القطر العراقي والتقليل مــن اهميــة الانجازات المتحققة وتخريب المشاريع والاتجاهات ذات الطابع الاشتراكي ، ومنع استغلال الاخطاء الفردية او الظواهر السلبية الثانويــة التي تطفو على السطح

وتستغلها الجهات المعادية وتعرضها كما لو كانت من الخصائص الجوهرية الدائمة التي تلازم كل تطبيق اشتراكي وكل نظام اشتراكي ٠

الامن الاقتصادي :

دعونا نضرب مثالا بسيطا ومحسوسا مستمدا من الحياة اليومية عن الموضوع المذكور في اعلاه ٠ فكثيرا ما يقارن المواطن دون وعي بين سلعة من صنع عراقي واخرى من صنع انكليزي ، ثم يقرر موضوعيا ان الثانية افضـــل من الاولى ٠ وقد يرى البعض ان قبولنا بهـــذه المقارنة لا يعني شيئا خارجا عن المألوف او داعيـــا الى الاعتراض ٠ ولكنها في الحقيقة تؤدي في النتيجة الى التشكيك في القدرة الصناعية للقطر العراقي وبالتالي تؤدي الى محاربة الصناعة الوطنية العراقية وتقليل امكانية القطر العراقي في تحمل اعباء النضال الوطني والقومي ٠ اذ كيف يمكن ان نكون قطرا يقاتل خارج حدوده الاقليمية دفاعا عن امتنا العربيـــة وحقوقهـــا ومصالحها وأهدافها ، ونحن غير قادرين أن نوفر مستلزمات الحد الادنى من الانتاج الوطني الذي تحتاجه قواتنا وجماهيرنا الشعبية ٠ وتعرف الامبريالية وقوى الثورة المضادة جيدا ماذا يعني نجاح الصناعة الوطنية في القطر العراقي والنتائج التي تترتب على النجاح المذكور ٠ في هذه الجبهة يتعرض الوضع الداخلي في العراق الى حملة واسعة وشديدة وشرسة ٠ ومن مظاهرها كثرة الاختناقات وقلة بعض البضائع والسلع المعينة وشحة الحاجيات التي تمتاز بالجودة ٠ وبعض حلقات هذه السلسلة يقوم على الجهل ، وبعضها يقوم على استغلال هـــذا الجهل من جهات معاديـــة ، وبعضها الاخر يقوم على الانانية والانتهازية وحتى التخريب المقصود ٠

فينبغي ان لا نقبل بمثل تلك المقارنة اساسا • لانها مقارنة غير موضوعية اطلاقا • فكيف تجوز المقارنة بين دولة صناعية عريقة وبين دولـــة نامية جديدة تريد بالتصنيع ان تشق طريقها الى المستقبل الافضل ؟ وغاب عن بال المقارنين ، وبعضهم ربما عن سذاجة وبساطة ، ان الصناعة الاجنبية لم تبدأ كما هي اليوم • بل بدأت بداية كانت اسوأ من بداية الصناعة الوطنية الان • ولكنها تطورت وتقدمت وتكاملت ونضجت بمرور الزمن وانقضاء الوقت ونهوض العلم وازدياد الخبرات والتجارب • وفضلا عن ذلك فأن تفضيل الصناعة الاجنبية على الصناعة الوطنيـــة ينطوي على تذويب شخصيتنا في شخصيات الاخرين واخضاع تجربتنا المستقلة الى تجارب اجنبية •

وتلك هي فجوة من اخطر الفجوات التي تستخدمها الثورة المضادة للتسلل الى القلعة الوطنية وتخريبها من الداخل • ونحن جميعا مدعوون ومطالبون بأن نحارب هذه الظاهرة وان نتصدى الى مثل هذه الاراء وان نرفع التقارير العاجلة والتحليلات السريعة الى المراجع المسؤولة • ومن واجبنا الانتباه الى الغطاء الذي تستخدمه مثل هذه الاســاليب وتحاول ان تتظاهر بأنها مشروعة • ولكن نتائجها الوحيدة هي التخريب الاقتصادي للعمل التنموي • وقد سبقتنا شعوب كثيرة بالتوقيت الزمني لثورتنا ورفعت شعار « لا أمن بدون تنمية حقيقية » • وكانت التنمية الحقيقية في جميع تلك التجارب الثورية تعني الأمن كما حدث فعلا في الثورتين السوفيتية والكوبية •

وقد اثبتت الاحداث والوقائع والتجارب حقيقة ومصداقية هــذا الشعار فعلا • واذا كان الامن يعني التنمية ، فأن التنمية تعني بناء النظام

الجديد والمجتمع الجديد والانسان الجديد والانتقال من الواقع السيء الى المستقبل الافضل وتعميم الثقافة الثورية في صفوف الجماهير وتعزيز الوضع الاجتماعي والاقتصادي للبلد . ومن هنا يقوم المجتمع المثقف الواعي المتماسك الذي يفهم ضرورة واهمية العلاقات الايجابية الوثيقة التي ينبغي ان تسود بينه وبين الحزب من جهة وبينه وبين قوى الامن الداخلي من جهة اخرى .

لان قوى الامن الداخلي تعاني اشد المعاناة الان من غياب الفهم المشترك بينهـا وبين المواطنين . وليس مجديـا ان نعمد الى المواعظ والمقارنات مع الدول المتقدمة في هذا الصدد . ولكن انتقال المجتمع من الظلام الى النور ، ومن الجهل الى العلم ، ومن التخلـف الى التقدم ، سيتكفل وحده بتحقيق هذه الغاية التي نرجوهـا ونريدهـا . واذن فان تحقيق التنمية والدفـاع عن خطتها سيساعد قوى الامن الداخلي ان تتحزم بحزامها الاكبر والوحيد الذي هو جماهير شعبنا وابناء وطننا . ولا يمكن ان تستطيع قوى الامن الداخلي من تأدية واجباتها بعيدا عن هذا الاطار . اما الواجبات الروتينية والفوقية والتقليدية فأنها لا تستطيع ان تخدم مثل هذا الغرض في اقامة علاقات انسانية مع الجماهير . وينبغي ان تدرس شروط واسس هذه العلاقات التي تربط المواطن بقوى الامن الداخلي دراسة جادة تتسم بالتجرد والموضوعية . وقد تنطوي مثل هذه الدراسة على بعض المشاعر المؤلمة والانفعالات الحادة التي تعود الى الظروف التي رافقت تكوين الجهاز والادوار التي لعبها في عهود متعددة سابقة . لان نظـرة المواطنين الى قوى الامن الداخلي تمتد الى جذور وسوابق تأريخية . لقد كان حديثنا صريحا في هذا الصدد . ولكننا لم نقصد التجريح بل قصدنا سد الفجوات وتصحيح الاخطاء . ويعتقد عدد

غير قليل من المواطنين ان الشرطة مثلا انما وجدت لكي تكون حربا عليهم واضطهادا لهم • فأصبح الشرطي رمزا للارهاب وعنوانا للحد من حريات المواطنين • وعلى قوى الامن الداخلي ان تتفهم جذور واسباب هـــذه النظرة وان تتحلى بالصبر الجميل والنفس الطويل وان تعالـــج هـــذه النظرة ليس في اعراضها الظاهرة وانما في دوافعها الغائرة • وليس افضل في هذا الصدد من التعامل الصحيح والسلوك اليومي • ومن الضروري ان نبتعد عن التعميم وان نفسر كل حالة على انفراد في ضوء ملابساتهـا وظروفها • فأذا وقعت حالة في محافظة ميسان فلا يعني انها ظاهرة شاملة في كافة محافظات العراق • وينبغي دائما ان لا تعمم الحالات الصغيرة أو تعتبر مقياسا للتقييم في تحديد العـــلاقة بين قوى الامن الداخـــلي والجماهير •

الامن الداخلي والتحرك الدولي :

تحدثنا عن تحرك القطر قوميا • ولكن تحرك القطر دوليا ايضا قد خلق واتاح علاقات جديدة من شأنها ان تتيح شـــرح القضية العربيـــة ومواقف وانجازات العراق ومبادىء واهـــداف حزب البعث العـــربي الاشتراكي • وقد تعرض هذا التحرك الدولي للعراق ودوره على الصعيد العالمي الى التهديد الذي يهدف الى تحجيم دور العـــراق على الصعيد الدولي والتقليل من فرص تحركه في المجال العالمي • واشـــغال العراق بالمشاكل الداخلية او بالمشاكل الناجمة عن العلاقات مع الدول المجاورة• ومن الواضح اذن ان وسائل التهديد هي في الواقع متشابكة ومترابطة وتؤدي الى نتائج واحدة في النهاية • ومن الاشكال الاخرى للتهديد الذي يعنينا في قوى الامن الداخلي ما يتعلق بمنع او ابعاد القطر العراقي

عن التحول الاشتراكي • ويتوخى هذا التهديد ان يظل القطر العراقي أسيرا للمعسكر الرأســمالي بدوره على الصعيد الخارجــي وللنظــام الرأسمالي بعلاقاته على الصعيد الداخلي • فلا يستطيع أن يحقق العراق استقلالا كاملا ناجزا ولا ان يبني قاعــدة اشتراكيــة عادلــة او قاعدة اقتصادية فعالة ربما تؤثر على الدول المجاورة التي تقدم انظمتها الحالية ما تحتاجه الدول الرأسمالية في تحركاتها ومطامعها • لان نجاح التجربة الاشتراكية العراقية سيفوت الفرصة على المعسكر الرأسمالي الدولي في الدفاع عن الانظمة الموالية في الدول المجاورة وابقاء شعوب وجماهير تلك الدول على حالها او اقناعها بالقبول بالوضع الراهن •

الامن الداخلي والوضع الاقليمي :

وتلاحظون الان ما يثار حولنا من مشاكل وتهديدات • فما هي النتائج التي ترتبت على أحداث ايران أو الاسباب التي أدت الى وقوعها ؟ كانت ايران دائما تشكل طرفا في معادلة تأريخية دائمة • وتلاحــظ ان اهتزاز ايران ، وهي موقع مركزي من الأستراتيجية الأمبريالية وبسقوط الشاه ومجيء الخميني ، قد ادى الى ظهور مشاكل معينة في المنطقة • كما ادى الى اختلال واهتزاز العلاقات الايرانية ــ العربية من جهة والعلاقات الايرانية ــ مع الدول المجاوره الآخــرى • واختلف الوضــع مع دول الخليج العربي • ومن هنا ظهرت المشاكل الاخرى وطرحت المشــاريع الجديدة في هذه المنطقة من الوطن العربي • ومن المحتم ان تنعكس هذه المشاكل في المنطقة على الاوضاع الداخلية في العراق • وليس من المعقول

ان تكتفي الأمبريالية بالوقوف على التل مكتوفة الايدي موقف المتفرج الذي لا يبدي حراكا • ومن الواضح ان الامبريالية ستعمد ، وقد عمدت بالفعل ، الى تصدير بعض هذه المشاكل الى الدول المجاورة التي لا تدين له بالولاء ولا تتعامل معه بالخضوع •

وفي مقدمة تلك الدول يقف العراق • وليس من المعقول ان تتركه الامبريالية وشأنه • ويبدو واضحا ان الامبريالية قد عقدت عزمها على تنفيذ خطـوات من شـأنها أن تـؤدي الى اختـلال الاطمئنـانـ واهتزاز الاسـتقرار • ومن أبرز الامثـلة في هذا الصدد ما حـدث في ايران من تأكيد على العصبية الدينية بصيغة طائفية معوجة وملتوية ومن تأجيج للعنصرية والشوفينية القومية الفارسية • واذا لم نعر هذه الظاهرات ما تستحقه من اهتمام وانتباه واعتبار ، فان نتائجها السلبية السيئة ستظهر في القطر العراقي من الداخل • واذا انتشرت الطائفية في مجتمع من المجتمعات فانها ستخلق من الاجواء والعلاقات الداخلية مـا يؤدي الى استخدام أو حتى الغاء الولاء الوطني والقومي وتفتيت وحدة المجتمع الى شظايا متنافرة وأشلاء متطايرة • وما حدث في ايران يعتبر خير مثال على ما نقول • فأنها قد تمزقت الى قوميات مختلفة وشلل متفرقة وأحزاب متناحرة• تلك هي نظرية بريجينسـكي في تفجير التماسك الداخلي والوضع القومي بتأجيج التعصب الديني والتحريض الطائفي • وقـد وضعت هذه النظرية موضع التنفيذ بالنشـــاط المحسوم الذي تبذله الاستراتيجية الأميركية في الدول التي تعير شعوبها اهتماما فائقا للعامل الديني •

فأستخدمت الدين تأجيجا للصراعات الطائفية ، كما استخدمت الانحراف الطائفي في تأجيج الصراعات القوميـة ومحاربـة النهوض

القومي بالعامل الديني وطرح الايمان الديني نقيضـــا للولاء القومي • ونحن نعلم الان جيدا ان الامبريالية تحاول في القطر والوطن بوسائل مختلفة ومراحل متعاقبــة ان تؤجج نيران الفتن الطائفيــة والعشائرية والعنصرية للتوصل الى تخريب المجتمعات المعادية لها والمتمردة عليهــا من الداخل • وليس مثال حصان طروادة ببعيد •

حرب الاشاعات :

وتعلمون جميعا مدى تأثر شعبنا بهذه المسائل ، لان الاشاعة تلعب دورا كبيرا في واقع المجتمع العراقي • بل ان المواطن العراقي اكثر ميلا لما يشاع مما يعلن حتى ولو صدر عن مسؤول كبير في الدولة • تلك هي حقيقة واقع المجتمع العراقي • وتقع محاربة الاشاعة بالدرجة الاولى على عاتق قوى الامن الداخلي • وترمي الاشاعة الى خلق حالات من اهتزاز الولاء واختلال الاستقرار وانتشار القلق والخوف والتردد وتحاول ان تسدل استارا من الغموض على المواقف والقرارات الواضـحه للقيادة السياسية توصلا الى تشويشها وتشويهها •

فينبغي اذن ونحن نحاربها ان لا نكون الوسط الذي ينقلها • وكما ان هناك اوساطا من الناقلين فأن هناك ايضا اوساطا اخرى من المستمعين المتقبلين • وقد عمدنا احيانا الى اختلاق اشاعة معينة وباشرنا بترويجهـا في تجربة عملية • ثم استلمناهــا بعد اسبوع وقد كبر حجمهــا وازداد تعقيدها بمعلومات مضافة كثيرة • وتلك هي الجوانب المضافة التي ينبغي ان تكون موضوعا للتحليل الدقيق والاهتمام الفائق عند وضعنا للاشاعة تحت المجهر • ومن هذه الاشاعات في المرحلة الراهنة الزعم بأن القطر العراقي سيمتنع عن استيراد سلعة او اخرى وانه سيقوم بتصنيع كافــة

السلم في الداخل بهدف الايحاء انالحزب اذا استمر في التوجه الاشتراكي فأن الجماهير ستموت من الجوع في يوم من الايام • ومنها ايضا ما بدأ يستهدف القوات المسلحة بالتقليل من اهميتها وقدرتها ودورها في القيام بواجبها المقدس في الدفاع الوطني والرد على التهديد الخارجي الذي يحتمل ان يواجه العراق او الحفاظ على مكتسبات الثورة •

الامن الداخلي في المنظور الثوري : —

دعونا نعترف بأن الطابع العام الذي يلازم قيام قوى الامن الداخلي بواجباتها الخطيرة ، يفتقر الى الحمـــاس • ونحن لا نعني بذلك ضعف الشعور الوطني بل نعني التقصير في فهم طبيعة الواجب ومعنى الدور • لان الانسان لا يقوم بواجب الا اذا شعر أنه يحب ما ينفذه • لا يضحي الانسان الا من اجل ما يحب • ولا يحب الا مايحترم • ولا يحترم الا ما يفهم ويدرك • وتلك هي اهمية الفهم في العلاقة بين الشعور بالحماس والقيام بالواجب • وقد ادى غياب مثل هذا التقدير الى نشوء ظاهرة غير حضارية في حالات فردية في بعض المفاصل الرسمية تخلفت عن التطور الملحوظ الذي حدث ، ولا تتناسب مع ما تحقق في القطر العراقي من تحولات ثورية ونقلات نوعية • ولكن فهم الدولة بمنظور عثماني للاسف لا يزال سائدا الى حد ما في بعض الاوساط على الاقل • واذا استمرت تلك النظرة فانها ستعطل أو تعرقل على الاقل أداءنا للواجب بالشكل الصحيح وعلى الوجه المطلوب • ومن المهم ان تكون الاجهزة المتعددة موحدة في المبدأ والهدف ومتعاونة في التنفيذ والاداء حتى ولو اختلفت في خصوصية اعمالها وطبيعة واجباتها ، وان يفهم كل جهاز طبيعة الواجب الذي يتولاه الجهاز الاخر من قوى الامن الداخلي ، مثل الامن والشرطة والجنسية والمرور •

الفصل الثالث

تهديدات الأمن الداخلي للقطـر والأمن القومي(*)

مقدمة :

تحتاج محاضرة من هذا النوع تلقى في مثل هذا المكان الى جهد استثنائي واعداد مسبق ، ولكن الدعوة لم تصلني لاسـباب مختلفـة الا في موعد متأخر للغاية ، وقد اضطرني ضيق الوقت وضغط المجال الى الاكتفاء ببعض المؤشرات وتسليط اضـواء معينة خـاطفة علـى الاستراتيجيات التي تتعلق بالامـن القطري والامـن القومي والامن الدولي . وأملي ان تكون تلك المؤشرات والاضواء بمثابة قواعد ارتكاز ونقاط انطلاق للنقاش اللاحق والحوار المستفيض الذي ارجو ان يعقب هذه المحاضرة . وسنبدأ الحديث بأستعراض سريع للنظرة الأستراتيجية في هذا الموضوع . ثم نعود الى تهديدات الامـن الداخلي فنبحثهـا بتفصيل أكثر . لان الحديث عن الامـن الداخلي في معزل عن الامـن القومي والامن الدولي لا يمكن في اعتقادنا أن يحقق الهدف المقصـود والنفع المنشود ، ولا يمكن ان يساعد الباحث أو القارىء على تفهم واستنباط أوليات المشاكل التي قد تحدث في الداخل . ومن الواضح

(*) محاضرة القيت في جامعة البكر بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٩ .

تهديدات الامن الداخلي للقطر

ان الأمن الداخلي يرتبط ارتباطا وثيقا بالامن القومي ، كما ان هنـاك علاقة مباشرة تختلف في اشكالها وتتفاوت في درجاتها بين الامن القطري الداخلي والامن القومي العربي والامن الدولي .

التهديدات الداخلية :

وسنقوم بعرضها عرضا تفصيليا في بند لاحق من هذه المحاضرة. وسنتوسع حينذاك في بحثها من جوانب متعددة تتعلق بوضع الاحزاب وتكوين المجتمع في القطر العراقي . ويمكن تلخيصها الان كما يلي :

١ ـ القضية الكردية :

وهي ورقة من أوراق التهديدات التي تلعبها الامبريالية بأستمرار.

٢ ـ المسألة الطائفية :

كما يجسدها الخميني حاليا . وهي ورقة جديدة تلعبها الامبريالية في الوقت الحاضر . وتقوم على النشاط التخريبي الذي يبذله اتبـاع الخميني من شيعة العجم في القطر . وقد استخدمت هذا التعبير عمداء لان الشيعة في القطر شيعتان : شيعة العرب وشيعة العجم . كمـا ان شيعة العجم انفسهم ينقسمون في القطر الى طائفتين . فمنهم شيعة من أصل فارسي قديم ولكنهم استعربوا . ومنهم شيعة من أصـل فارسي قريب لاتزال قلوبهم تحن وتتوجه الى ايـران . وليس الـولاء للخميني على درجة واحدة في جميع هذه الفئات .

وينبغي التمييز بين هذه الدرجات من الولاء تمييزا دقيقا للتوصل الى الحكم الصائب والاسلوب الصحيح في التعامل فلا نحرق الاخضر بسعر اليابس ولا نأخذ البرىء بجريرة المذنب . وتتوجـه السياسـة

الامريكية حاليا توجها مكثفا الى دعم اتباع الخميني من شيعة العجم بوجه عام وذوي الاصل القريب منهم بوجه أخص • ومن الملاحظ ان الولاء المطلق للخميني في أوساط شيعة العجم قد انقلب الان الى أمـل خائب ، وان هذا الامل الخائب قد بدأ يتحول في المرحلة الراهنة الى عداء متزايد في أوساط عديدة داخل ايران وخارجها •

٣ ــ الشيوعيون :

ويمثل الدور الذي يلعبونه في العراق أيضا تهديدا قائما يتمتـع بدعم دولي من الاتحاد السوفيتي ، يشابه من حيث التخطيط والتمويل والتوجيه والارتباط ما تلقاه التهديدات الاخرى (الرجعية والعميـلة) من دعم دولي من الولايات المتحدة •

ولكن مثل هذا الوضع المذكور في أعـلاه ، لم يمنع من التقـاء الدولتين الاعظم في دعم وتأييد جهة داخلية معادية للنظـام الثوري في القطر العراقي (شعوبية أو طائفية أو عنصرية) ، في ظروف معينة اذا تطابقت استراتيجياتهما ومصالحهما • أو بعبارة اخرى ، ان امريكا قد لاتتورع عن الاشتراك مع روسيا في دعم الشيوعيين ، أو بالعكس ، ان روسيا قد لا تتورع عن الاشتراك مع امريكا في دعم الطائفيين من عملاء الخميني •

٤ ــ التكوين الاجتماعي والثقافي والسياسي للقطر العراقي :

وينطوي هذا التكوين على فجوات قد يستخدمها العدو للتسلل أو التغلغل وقد يعمد الى تأجيجها واستغلالها اذا سنحت الفرص وساعدت الظروف • وسنناقشها بعد هذا الاستعراض السريع ، ونبين الحلقـات

الضعيفة والنقاط الواهنة في التكوين الموضوعي للمجتمع العراقي من الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية التي تشمل العشائر والاديان والطوائف والاحزاب فضلا عن التركيب النفسي والوضع الاعلامي • وقد تلعب كلها أو بعضها أدوارا معينة في تهديدات الامن الداخلي •

التهديدات الخارجية :

ولا نستطيع أن نفصلها عن مجمل التهديدات الاخرى فصلا كاملا • وان كنا نبحثها الان نظريا في بند مستقل تحقيقا للمزيد من الوضوح والتزاما بمقتضيات المنهج العلمي • ويمكن تلخيصها كما يلي :

١ ـ الخطر الصهيوني :

وتحركه العدواني ومخططه التوسعي في المنطقة العربية • ونحن نرى ان كافة الاطراف الدولية قد اجمعت واتفقت على المحافظة على بقاء اسرائيل واستمرار وجودها كدولة قائمة • وسيظل الامن القومي مهددا ما بقيت اسرائيل موجودة في موقع من اخطر المواقع الاستراتيجية في الوطن العربي •

٢ ـ الدول المجاورة :

وهي تمثل تهديدا اخر تختلف خطورته وتتفاوت حدته من دولة الى دولة ومن مرحلة الى مرحلة تبعا لاختلاف الظروف والمتغيرات قوميا واقليميا • ولا يمكن ان نعتبر دولة من الدول المجاورة اليوم عدوا دائميا أو صديقا دائميا • لان العوامل السياسية والتأثيرات الدولية تقرر مواقف أو تصرفات هذه الدولة أو تلك •

ومن الواضح ان العوامل التي تدخل في هذه الصورة هي من العوامل المتعددة والمعقدة • ويصح ما تقدم أيضا عن ايران أو حتى بعض الدول العربية • ولو استرجعنا تاريخ التهديدات التي انصبت على العراق من الدول المجاورة ، فسنجد انها كثيرة ومختلفة وقد صدرت عن أقطار عربية كثيرة لاسباب متعددة في ظروف مختلفة • خذ مثلا قضية ترسيم الحدود وسواها من امثالها • وهي كلها لا تعدو ان تكون مخططات استهدفت خلق تهديد مباشر أو غير مباشر للعراق •

٣ ــ التحرك الامبريالي والصراع الدولي في منطقة الخليج العربي :

وسنرى بعد ان نناقش استراتيجيات الدول الكبرى كيف تفكر أو تنظر تلك الدول الى هذه المنطقة الحيوية الاستراتيجية ، وموقفها منها وتعاملها معها •

٤ ــ تدهور الوضع الدولي وتفاقم الصراع العالمي :

ونلاحظ ان تدخل الدول الكبرى في شؤون وخصوصيات الدول الصغرى يختلف بأختلاف تأزم الوضع الدولي واضطراب الميزان الاستراتيجي • ونرى ان الوضع الدولي والميزان الاستراتيجي اذا اختل وتأزم واضطرب في جانب معين من جوانب الخارطة الجيوبوليتيكية للكرة الارضية فسنجد ان الجوانب الاخرى في تلك الخارطة ستعاني ضغطا أشد من الطرف الدولي الذي خسر معادلة معينة في الجانب المذكور من تلك الخارطة • وهناك امثلة عديدة تؤكد ما تقدم • ومنها ، ان خسارة امريكا في فيتنام قد أدت الى تزايد واشتداد ضغطها على جوانب معينة بعيدة عن موقع الصدام المذكور ، مثل منطقة الشرق الاوسط •

ومن الجائز ان يحدث مثل هذا الضغط من جانب الطرف الدولي الخاسر على مناطق قد تقع في جنوب شرق آسيا أو أفريقيا أو سواهما • ومن الواضح ان اضطراب وتأزم الوضع الدولي على هذا النحو يؤدي الى تحرك أشرس وتدخل أشد في شؤون الدول الصغيرة التي تحاول دائما ان تستفيد من التوازن الدولي والتعادل الاستراتيجي الموصوفين بالوفاق للاستحصال على الحد الاقصى الممكن من قدرة الحركة وحرية المناورة ودرجة الاستقلالية •

الأمن الدولي :

لقد استعرضنا استعراضا خاطفا ما يتعلق بالمؤشرات الاساسية والعلامات البارزة للتهديدات الموجهة للامن الداخلي والخارجي • وسنتطرق الان الى قضية الامن الدولي وكيف ينبغي ان تكون في ضوء المعادلة المتوازنة التي تحفظ امننا القطري والقومي • والوفاق كما تعلمون لا يعني التطابق في المصالح بين الكتلتين الاعظم على امتداد العالم أو اقتسام مناطق النفوذ اقتساما دقيقا ومنظما • بل يعني وجود موازنات معينة مع وجود فسح واسعة وخلافات واضحة بين الكتلتين الاعظم • وكلما ابتعد التطابق عن درجة التكامل المطلق كلما كانت فرصتنا أعظم للمحافظة على الامن القومي العربي الذي يقوم على التوازن الدولي مع توفر الاختلاف والتنافس والصراع • ومن مصلحتنا ان لا يتحقق تطابق كامل بين الكتلتين الاعظم في أية مسألة من المسائل الدولية • لان التطابق بين الكتلتين الاعظم يمنع الدول الصغيرة من التمتع بأية قدرة على الحركة أو فسحة من الحرية أو درجة من الاستقلالية • اذن ينبغي في حساباتنا الاستراتيجية ان نبذل جهدا دائبا

منعا للتطابق من الحدوث في استراتيجيات الدول الكبرى في المشاكل العالمية والقضايا الدولية • ولكن مصلحتنا تقتضي ايضا مع مصلحة كافة الدول والامم ان لا يحدث او يقع صدام جبهوي وتدمير متبادل بين الكتلتين الاعظم لانه سيؤدي الى ضرر مميت وخراب شامل • تقتضي اذن المصلحة القومية من الناحية الاستراتيجية ان تكون هناك درجة من الوفاق الدولي تمنع وقوع الخراب الشامل والتدمير الكلي من جهة ، وان تكون هناك درجة من الاختلاف سواء كان قد اتخذ شكل التنافس او الصراع بحيث يتيح للاطراف المعنية والامم الصغرى ان تتمتع بأكبر قدرة ممكنة على الحركة واوسع فسحة متاحة من الحرية واعظم درجة من الاستقلالية حفاظا على صالحنا القومي وامننا السياسي على الصعيدين الاقليمي والدولي •

ومن العوامل التي تساعدنا على بلوغ هذه الغاية ان نقيم افضل الصلات واوثق العلاقات مع دول عدم الانحياز وحركات التحرر الوطني وامم العالم الثالث • ومن الواضح ان استغلالنا للفسحة التي تحدثنا عنها وأشرنا لها سيكون أصعب بكثير اذا لم نتحرك على الصعيد الدولي مع الدول الصديقة ودول العالم الثالث ودول عدم الانحياز والدول النامية • ومن الثابت ان توفر الفرص المختلفة والخيارات الكثيرة والبدائل المتعددة ، سيؤدي الى درجة أعظم من مرونة الحركة وقدرة المناورة وممارسة الحرية • ولكن تلك الفرص والخيارات والبدائل لايمكن ان تتوفر الا اذا امتلكت الدولة شبكة واسعة من العلاقات الوثيقة مع أكبر عدد ممكن من الدول في العالم • والمرونة هي حصيلة تلك الشبكة • والعلاقة بينهما يمكن ان توصف بانها علاقة طردية •

فكلما كانت الشبكة المذكورة أوسع وامتن ، كلما كانت المرونة المطلوبة أكبر وأكثر .

الوفاق الدولي : اوجه الاتفاق والاختلاف :

ومن ضرورات وشروط تحركنا الدولي تحركا ناجحا ان نفهم طبيعة الوفاق الدولي فهما دقيقا وجيدا . فهناك في صلب الوفاق الدولي أوجها للاختلاف واخرى للاتفاق بين الكتلتين الاعظم . ومن مصلحتنا استراتيجيا ان نفهم أوجه الاتفاق في مواقف الكتلتين الاعظم من الوطن العربي لكي نستطيع ان نقرر القضايا والتحركات التي يمكن ان نتخذ فيها موقفا مغايرا للسوفيت أو الاميركان أو ان نعلم سلفا ان قضيةمعينة متفق عليها في المنظور الدولي فندرك ان تحركنا المضاد في هذه القضية تكتنفه الصعوبات والاخطار . ومن أبرز وأهم أوجه الاتفاق بين الكتلتين الاعظم في المنطقة العربية ما يتعلق بالمحافظة على استمرار وجود اسرائيل كدولة ذات سيادة ومعارضة أي فكرة أو محاولة تهدف الى ازالتها من الوجود . تلك هي مسألة محسومة وقضية اساسية في استراتيجيات الدول الكبرى تجاه القضية العربية . وفضلا عن ذلك فأن الدولتين الاعظم تسعيان باستمرار الى تأجيل أو تعطيل أو منع تحقيق الوحدة العربية .

ولكنهما تقصدان هذا الهدف المشترك بوسائل مختلفة واساليب متباينة وصيغ متعددة . الا انهما تسعيان معا الى منع تدهور الموقف في المنطقة العربية تفاديا للمواجهات الجبهوية المباشرة المؤدية الى نشوب حرب نووية شاملة . ومن هنا تقوم مخططاتهما على اساس التعامل مع كل دولة من الدول العربية على انفراد . وتسعى تلك الدول الى التعبير

عن امتناعها عن التعامل مع العرب باعتبارهم كتلة موحدة بوسائل مختلفة وصيغ متعددة • وتتعامل تلك القوى مع العرب عن سابق قصد وتصميم باعتبارهم مجموعة متباينة من الدول والكيانات والانظمة ، وليس باعتبارهم امة واحدة • ومن الملاحظ ان الدول الكبرى لا تستسيغ ولا تشجع أي تحرك باتجاه توحيد الدول أو الاقطار العربية سواء على الصعيد الرسمي المتعلق بالحكومات الراهنة أو على الصعيد الشعبي المتعلق بالحركات التحررية • تلك هي بعض الاوجه الاساسية للاتفاق بين استراتيجيات الدول الكبرى في المنطقة • ولكن الدولتين الاعظم تختلفان في الصيغ والوسائل التي تنتهجها كل منهما في طريقة تنفيذ تلك الغاية وتطبيق تلك الاستراتيجية • فالامريكان مثلا يلجأون في مجال عملهم وتأثيرهم للتعرض الى الاستقرار وتعطيل العمل الوحدوي الى دعم الانظمة الرجعية واحتضان الحكومات التي تمتلك ارتباطات مصلحية في العلاقة مع امريكا • ولكنهم يعانون من نقص دعائي وضعف في النفوذ الآيديولوجي يقومون بتعويضها عن طريق اللجوء الى تأجيج الفتن وتفجير الاضطرابات وتشجيع التكتلات والانشقاقات وحتى تنفيذ الانقلابات العسكرية • تلك هي الطريق الامريكية في التعامل مع المنطقة العربية • فما هي الطريقة السوفيتية ؟ نجد ان السوفيت لا يترددون على الاطلاق في اقامة أي نوع من أنواع العلاقات مع أي نظام من الانظمة دون تمييز أو استثناء اذا اقتضته أو استدعته أو استلزمته مصلحتهم واستراتيجيتهم • أو بعبارة اخرى ان السياسة السوفيتية مثل السياسة الامريكية لا تقيم وزنا للجانب الآيديولوجي ولا تلتزم بمبدأ عام في علاقاتها مع الدول • ومن هنا نجدها تقيم علاقات مع كافة الدول بغض النظر عن اتجاهاتها • ولا تتحفظ السياسة السوفيتية في اقامة العلاقات

حتى مع الدول الرجعية اذا اقتضت الظروف واستلزمت المصالح • ولعل أبرز مثال على مثل هذا الاتجاه ما يبذله الاتحاد السوفيتي من جهود دائبة بهدف التوصل الى نوع من العلاقة مع السعودية دون اعتبار للقضايا والتقديرات التقدمية • ولكن القياس بين السياستين السوفيتية والامريكية لا يكون صحيحا الا اذا أدركنا الفارق • لان السوفيت يمتلكون بعدا ايديولوجيا ينشب مخالبه في صلب وصميم الوضع الداخلي للمجتمع العربي • ومن الواضح ان هذه الورقة الهامة (البعد الآيديولوجي) التي يلعبها السوفيت هو وجود الاحزاب الشيوعية في بعض الدول العربية ذات الوزن والتأثير (البعد التنظيمي) • وقد أتاح هذا البعد الآيديولوجي والواقع المؤثر للسياسة السوفيتية في المنطقة العربية ان تمتلك فرصة أوسع وفسحة أكبر من السياسة الامريكية في التحركات المرنة والضغوط المتعددة والبدائل المتاحة • ومن هنا نلاحظ ان السوفيت ، وعلى الرغم من اقامتهم للعلاقات مع دول صديقة وتقدمية في المنطقة العربية ، لا يترددون في استخدام الاحزاب الشيوعية المذكورة للضغط على تلك الدول والحكومات وابتزازها بتشجيع نوع من الاختلال والاضطراب تحقيقا للاهداف والمصالح التي تتوخاها الاستراتيجية السوفيتية • وقد أصبح من البديهيات التي لا تحتاج الى ايضاح أو نقاش أو برهان ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي والعالم الثالث وبعض الاقطار الاخرى بوجه أخص ترتبط بالسوفيت ارتباط الطرف الذي عليه السمع والطاعة بالطرف الذي له الامر والحل والعقد• وقد ثبت في كثير من الاحيان بالعديد من الشواهد ان تلك الاحزاب تخضع خضوعا مطلقا للسوفيت باعتبارها أدوات طيعة عمياء في ايديهم

وتلتزم بالمحافظة على مصالحهم حتى ولو أدى ذلك الى تعريض المصالح الوطنية للاقطار المعنية الى أفدح الخسائر واعظم الاخطار والاضرار •

الأمن القومي :

كيف تتصور الامن القومي للوطن العربي ؟ وكيف نستطيع ان نجابه الاخطار التي تهدده وتتصدى لها ونرد عليها ؟ يمكن تلخيص الجواب كما يلي :

١ ـ نعتقد ان من أخطر مهامنا في الحفاظ على الامن القومي هي مهمة المحافظة على وحدة الحد الادنى للصف العربي في ضوء مقررات قمة بغداد • وقد لاحظنا في استعراضنا للاستراتيجيات الدولية انها تسعى سعيا متواصلا للتعرض بالاستقرار ونشر الاضطراب في أية منطقة من المناطق التي تريد ان تتدخل فيها وان تمد نفوذها عليها • كما رأينا ان تلك الاستراتيجيات تحاول في جميع الظروف ان تمنع قيام الوحدة القومية وان تعطل حتى مجرد تحقيق التفاهم بين الدول العربية • ومن هنا تتأكد خطورة الشعار الذي رفعه العراق في قمة بغداد والذي يعتبر الان من أهم ركائز الامن القومي •

٢ ـ مواجهة الخطر الصهيوني التوسعي العدواني بالحد الادنى على الاقل من العلاقات الجدية المتكاملة بين أقطار الوطن العربي • وفي طليعة شروط هذه المواجهة الحقيقية الابتعاد ابتعادا تاما عن سياسة المزايدات والمناقصات بين تلك الدول في مواجهة العدو المشترك والامتناع عن محاولات الكسب الاعلامي السياسي الذي أدى الى غياب أي تحرك فعال ونشيط وجاد على هذا الصعيد • وقد طرح العراق شعارا يقوم على تأسيس الجبهة الشرقية التي تضم العراق وسوريا

والاردن ومنظمة التحرير . ونلاحظ في هذا الصدد ان الجبهة الشرقية كانت تشكل دائما تهديدا مباشرا للامن القومي العربي الشامل وللامن القطري بوجه خاص . ومن هنا يبدو جليا ان هذا الشعار الذي طرحه العراق يتعلق بصميم الامن القومي في مواجهة خطر يهدد امن القطر العراقي تهديدا مباشرا . ولا يتعلق هذا الموضوع بالامن الداخلي والوضع القطري فقط . بل يتعلق أيضا بالاستراتيجية الاساسية التي ينتهجها القطر العراقي والتي تقوم على سياسته القومية ودوره الفعال في الوطن العربي وخاصة في القضية الفلسطينية . ونلاحظ في هذا الصدد ان حدود العراق من ناحية الجبهة الشرقية تتسم بأنها مفتوحة. ونحن نعلم من الناحية التاريخية ان الرتل البريطاني المدرع الذي احتل بغداد في سنة ١٩٤١ قد تحرك من مستعمرة (ناتانيا) في فلسطين الى قاعدة الحبانية واخترق الصحراء المكشوفة دون عائق جغرافي أو طبيعي. ويمكن ان يقال ان هذه الصحراء الغربية غير المأهولة بالسكان تشكل أخطر تهديد على الامن القومي والقطري للعراق . ومن المعلوم ان اجتياز الصحاري يعني حركات ارتال مدرعة وقوات ميكانيكية . واذا لم تمتلك تفوقا جويا مطلقا أو ساحقا على الاقل ، فانك لا تستطيع أن تصد أو ترد أو تشتت الارتال المدرعة التي تتحرك فيصحارى منبسطة مكشوفة. ومن هنا نجد ان المناطق الصحراوية في جميع أنحاء العالم ، ومنها الصحراء الغربية في العراق ، لا يمكن ان تعتبر حواجز مانعة بل وسائط موصلة سريعة للاخطار . لان الصحراء لاتعتبر بهذا المعنى حلقة فصل بل حلقة وصل . ولان الطرف الذي يريد ان يجتاز الصحراء لا يفكر في المكوث أو الانتظار في أي جزء من اجزائها . وانما يفكر بأن يجد أسرع الوسائل التي تساعده في اجتياز تلك المنطقة . ومن المؤكد ان

الصحراء بغض النظر عن سعتها وامتدادها ، لاتشكل حاجزا طبيعيا بقدر ما تعتبر جسرا ممدودا يحقق للعدو ما يتوخاه من اندفاع سريع الى الهدف المقصود . وفي ضوء ما تقدم ، يبدو جليا ان الدفاع عن العراق وامنه الداخلي والخارجي لا يمكن ان يكون في الحبانية أو في (ايج ثري) وانما في أغوار الاردن ومرتفعات الجولان . وقد ثبت الان ان الخطر الصهيوني يمثل تهديدا مباشرا للامن القومي العربي وللامن القطري العراقي في وقت واحد وعلى حد سواء .

٣ ــ أبعاد الصراعات الدولية عن منطقة الخليج العربي . لان هذه المنطقة تعتبر الان من أخطر المناطق الاستراتيجية التي تشكل تهديدا مباشرا للامن القومي في الوطن العربي . ومن هنا ينبغي التأكيد المستمر دون كلل أو ملل على مقولة استراتيجية أساسية هي ان أمن الخليج العربي ينبغي ان تتولاه وتحميه دول الخليج بنفسها دون سواها. وقد اشتق العراق سياسة واضحة وثابتة في هذه المنطقة ذكرنا اسسها كما تقدم . ولكن هذه السياسة بالطبع لا تحظى بتأييد الامريكان أو السوفيت . فكل منهما يسعى الى مد نفوذه ودعم وجوده في المنطقة المذكورة ، تحدوه المصالح والمطامع والثروات الخيالية التي تسيل اللعاب وتثير الشهية . ومن مصلحة الامن القومي العربي أن يتحقق نوع من التفاهم بين العراق وبين هذه الاقطار المهددة بالتدخل الاجنبي . ولكن تلك المصلحة أيضا تقتضي ان يأخذ أي تحرك طابعا جماعيا وليس منفرداً. لان التحرك المنفرد في معزل عن الدول العربية الاخرى المطلة على الخليج سيفسح المجال للمخططات الاجنبية الدولية ان تبتلع كل دولة عربية منفردة على حدة . وليس من العقل ولا من المنطق ولا من الضمير ان يتخذ أي منا موقفا انفراديا يجعله لقمة سائغة وغنيمة باردة وفريسة

سهلة للاجانب الطامعين والغرباء الحالمين بالاغتصاب والتوسع • وهكذا ينبغي ان تكون نظرتنا الى التحرك الفردي لانه قد يثير بعض الحساسيات في دول الخليج العربي ، أو يتيح الفرصة للاعداء للزعم بأنه تهديد من بعض الدول العربية على امن دول عربية اخرى • فضلا عن انطواء مثل هذا التحرك على مجازفات غير محسوبة واخطار غير متوقعة • ثم ان تحركا من هذا النوع الجماعي في مثل هذه المنطقة ينبغي ان لا يكـون بعيدا عن التنسيق مع أهم حلقة من الحلقات الخليجية وهي السعودية • والا فأنه لا يمكن أن يكون مؤثرا أو فعالا أو مجديا • لان السعودية تعتبر مفتاحا مركزيا وبابا رئيسيا للخليج بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى التي تتعلق بالموقف القومي والديني •

وينبغي ان يلتزم العراق جانب الجذر في القيام بأي تحرك يمكن ان يظهر في السياسة العربية والدولية بمظهر التحرك الانفرادي • لان النشاط الامبريالي والوضع الدولي قد خلقا في المنطقة نوعا من الحساسية تجاه العراق • وتعود تلك الحساسية الى المنطق الامبريالي الذي لفت أنظار الاطراف الاخرى في المنطقة الى العراق بأعتباره دولة قوية وان الاقطار الاخرى هي المجال الحيوي للمخططات والنوايا التي يضمرهـا وانه يمتلك من الاطماع ما يعرض مصالح تلك الاقطار الى الخطر • تلك هي البيئة النفسية التي زرعتها الامبريالية بحساسية معينة في المنطقـة واقامتها على نزعة معادية للعراق • ومن هنا سيخلق التحرك الفردي نوعا من التعثر في تطبيق الاستراتيجية القومية العربية الشاملة • وقد بلغت هذه التعبئة النفسية العدائية الى درجة خطيرة الان بحيث ان قيام العراق بأي تحرك مباشر ومكشوف ضد أطماع ايران سيفسر تفسيرا من جانب الدول الأجنبية بأنه تدخل في شؤون دول الخليج العربي لان مثل هذا

الموقف من جانب العراق سيفسر تفسيرا بأنه جزء لا يتجزأ من سياسة عامة ينتهجها العراق . ونلاحظ في هذا الصدد ان السياســـة الانكليزية والامريكية قد عملت زمنا طويلا وبذلت جهدا دائبا على خلق تواصـــل نفسي وسياسي واجتماعي يربط بين الوضع في منطقة الخليج والوضع في ايران . وقد أصبح واضحا الان ان السياسة الامريكية قد نظرت الى ايران كمرتكز أساسي في المنطقة يعتمد عليه ويرتبط به الوضـــع السياسي للخليج بكامله . فاذا حدث اهتزاز . كما حصـــل بالفعل ، في آيران تتأثر المنطقة بذلك . وتأمل هذا الوضع جيدا ، فتدرك الابعاد التي تتوخاها المخططات الامبريالية الان . ان السياسة الدولية قد انتهجت الاستراتيجية التي شخصناها وخلقت البيئة السياسية والاجتماعيـــة والنفسية والتي وصفناها أدت الى ربط امن الخليج بأمن ايران . ومهما فعلنا أو صنعنا الان فاننا لا نستطيع ان نعزل احدهما عن الاخر اطلاقا من الناحية الموضوعية بالرغم من الحجج التي نقدمها والاسباب التي نسوقها . لان هذه المعادلة قد ثبتت الان حتى استعصت عن التغيير . وما دمنا بصدد الحديث عن منطقة الخليج العربي . فينبغي أن نطرح السؤال التالي : كيف قامت السياسة الدولية الان بتصنيف وترتيـب وتنظيم دول تلك المنطقة الحيوية الحساسة ؟ واذا نظرنا مليا ، فسنجد ان السياسة الدولية قد قامت بتوزيع منطقة الخليج الى (٣) دوائر . دائرة داخلية واخرى وسطية وثالثة خارجية . وتتألف الدائرة الداخلية من الكويت وقطر والبحرين ودولة الامارات . وتتميز بضعف عسكري

واجتماعي وسياسي ومخزون هائل من النفط وتقع من الناحية الاستراتيجية في موقع القلب من منطقة الخليج . والدائرة الوسطية التي تضم العراق وايران والسعودية وترتبط دولها بحدود ساحلية مشتركة وعلاقات ثقافية واجتماعية ولغوية وتتفوق على دول الدائرة الداخلية بالقوة العسكرية والكثافة السكانية . والدائرة الخارجية التي تشمل فلسطين المحتلة وتركيا والدول العربية الاخرى التي تهتم بشؤون منطقة الخليج وتمتلك درجة معينة من القوة العسكرية . ولكن هذه الدوائر المتداخلة تندرج في اسس وخصوصيات الاستراتيجيات الكبرى للكتلتين الاعظم . ومن هنا ، ننتقل الان الى الحديث عن الاستراتيجية الامريكية في المنطقة ثم عن الاستراتيجية السوفيتية أيضا .

الأستراتيجية الامريكية :

انتهجت الاستراتيجية الامريكية خطا جديدا بعد ازدياد وتصاعد المد الجماهيري وانتشار وتوسع حركات التحرر يتلاءم مع الحساسيات التي سببتها القواعد الامريكية الثابتة التي احاطتها في كثير من الاحيان شعوب متذمرة أو معادية . ويقوم هذا الخط الجديد على اعتماد القواعد العائمة والمتحركة التي تمثلها الاساطيل الحربية والعمارات البحرية . وقد حققت هذه الخطة غرضين توختهما اميركا هما : امتلاكها درجة عالية من المرونة، وابتعادها عن استثارة الحساسيات واستفزاز الجماهير. ومن الواضح ان الشعوب قد أصبحت الان تنظر نظرة عدائية الى القواعد الاجنبية المتواجدة في كافة أقطار العالم . لان وجود مثل تلك القاعدة أصبح في حد ذاته محورا للنضال وهدفا للرفض في المناطق

المعنية . كما ان اميركا قد اصبح في امكانها بذلك ان تنتهج سياسة مرنة وان تتمتع بفسحة أوسع من حرية الحركة اذا اشتعلت فتن سياسية أو اجتماعية في منطقة أو اخرى من منظور المصلحة السياسية الاميركية. وقد باشرت الاستراتيجية الاميركية الان بالفعل في تنفيذ نظرية بريجنسكي التي تتلخص في نسف التوجه القومي من الداخل من خلال تأجيج الصراعات الطائفية واتخاذ الدين نقيضا للقومية . ولعل هذه الناحية هي الان من أخطر خصائص وتوجهات السياسة الامريكية . بل انها تعتبر في الفترة الراهنة بمثابة حصان طروادة الذي تستخدمه تلك السياسة . وقد لاقت هذه السياسة فعلا شيئا من النجاح في بعض البلدان . وقد استطاعت ان تقوم بتفجير الوضع الداخلي من خلال تأجيج توجه طائفي ديني وتحقيق تصادم بين الدين والقومية . ولايمكن للسياسة الامريكية ان تعتبر نفسها قد نجحت الا اذا حققت هذا التصادم الجبهوي والتناقض الجذري بين الدين والقومية . والا فأن دعمها للدين سيؤدي الى تحقيق نوع من الانسجام بين التحرك الديني والتحرك القومي فيعرضها للفشل . ولكن امريكا لا تستطيع ان تقوم بتطبيق هذه السياسة على كافة الشعوب دون تمييز ولا استثناء ، لان الشعوب تختلف في خصوصياتها . ويمكن تطبيق هذه النظرية على الشعوب التي يكون الدين اطارها الشامل أو قاسمها المشترك أو الشعوب التي لاتمتلك وحدة وطنية قومية تكون اساسا تقوم عليه أو تشتق منه وحدة نضالها .

فالدين مثلا يعتبر الاطار الشامل للشعوب الايرانية في وحدة نضالها . ومن هنا كان هذا التكوين الاجتماعي للسكان أفضل أرض خصبة للقيام بتطبيق مثل هذه النظرية . ونلاحظ الان ان اميركا قد

عمدت الى بناء استراتيجية تقريبية تقوم على مثلث تمتد اضلاعه من جزيرة ديغو غارسيا في المحيط الهندي الى القواعد الامريكية في سيناء وحتى قارة استراليا . وتعتبر تلك المنطقة من أهم المناطق للسياسة الامريكية وتضم المثلث الاستراتيجي الحساس المذكور . وفي ضوء ما تقدم ، قامت امريكا بتشكيل اسطول خامس عمليا في المحيط الهندي . وهي لا تمتلك بالفعل مثل ذلك الاسطول ولا تستطيع لاسباب مختلفة ان تمتلكه في الوقت الحاضر . وانما سحبت قطعا من اسطولها السادس في البحر الابيض المتوسط والسابع في المحيط الهادي . وقد واجهت محاولتها تشكيل اسطول خامس في المحيط الهندي معارضة شديدة من الكونغرس الامريكي الذي رفض الموافقة على تلك الخطوة . وقد قام وزير الخارجية السابق كيسنجر بتحليل السياسة الدولية في مقابلة صحفية اجراها مؤخرا وابرز الدور النشيط الذي تلعبه السياسة السوفيتية حاليا في العالم ولاسيما في المنطقة التي يغطيها الاسطول الخامس وهي المحيط الهندي والخليج العربي والبحر العربي ومداخل البحر الاحمر . واشعر الكونغرس الامريكي بشكل غير مباشر بأن أمريكا لا تمتلك المرونة في التسليح الاستراتيجي كما يمتلكها السوفيت. وانطوى حديثه على التحذير من مغبة التردد الاميركي وانغماس الكونغرس في مناقشات غير حاسمة تتعلق بلوائح تدعيم التسليح الاستراتيجي . والا فأن الاتحاد السوفيتي سيحقق تفوقا نسبيا ومرحليا، كما حقق فعلا في وقت لاحق باعتراف امريكا ، وسيسيطر على هذه المنطقة في بحر السنوات العشر القادمة . وقد أوضح كيسنجر تلك المحاذير وطرح تلك الاسئلة وترك الاجوبة الى أعضاء الكونغرس .

ويبدو جليا في ضوء ما تقدم ان التحرك الاميركي قد اسبغ أهمية فائقة للمثلث المذكور •

الاستراتيجية السوفيتية :

وتمتاز الاستراتيجية السوفيتية بتوجه تقليدي ثابت يقوم على السعي للوصول الى المياه الدافئة • وهي سياسة مستمرة منذ زمن القياصرة الى زمن السسوفيت الان • وتلك الناحية هي قضية أساسية واردة في كافة استراتيجيات الاتحاد السوفيتي • كما تمتاز الاستراتيجية السوفيتية أيضا بالسعي الدائم الى تحصين البطن الرخوة للاتحاد السوفيتي كما توصف جمهورياته الجنوبية • ويسعى الاتحاد السوفيتي على الدوام الى خلق مجموعة دول تحاذي حدوده الجنوبية تدين بالولاء للاتحاد السوفيتي ولا تشكل خطرا على وضعه الداخلي • ونلحظ ما يبديه الاتحاد السوفيتي من اهتمام فائق بافغانستان وايران فضلا عن التحرك المسلح للاكراد • وتلك هي سياسة تخدم الغرضين اللذين أشرنا لهما وتحدثنا عنهما ، في وقت واحد وعلى حد سواء ، لان قيام انظمة مواليه للسوفييت في افغانستان وايران سيخلق سياجا امنيا محاذيا للاتحاد السوفيتي من جهة الجنوب كما انه سيضمن وصول الاتحاد السوفيتي الى المياه الدافئة • والان ، بعد ان حسمت قضية صحراء سيناء وقضية قناة السويس أصبحت منطقة الخليج العربي تساوي في الاستراتيجية السوفيتية منطقة قناة السويس • بل ان منطقة الخليج هي قناة السويس للاتحاد السوفيتي الان بعد ان فقد قناة السويس في كامب ديفيد • ويرمي الاتحاد السوفيتي الان بكل ثقله للحصول على قناة اخرى تؤدي الى تأمين وضعه الاستراتيجي • ويحاول الاتحاد

السوفيتي في الوقت الراهن ان يبذل جهدا دائبا سعيا الى استغلال الخلل الاستراتيجي في المنطقة لخلق تغييرات جيوبوليتيكية في هذه المنطقة بالذات تساهم في تحقيق نوع من التوازن تجاه المناطق الاخرى التي حققت فيها السياسة الامريكية بعض التغييرات الجيوبوليتيكية • ومن المعلوم ان الميزان الاستراتيجي يميل قليلا في بعض المناطق لصالح الاتحاد السوفيتي • وليس من المعقول ان يمتنع الاتحاد السوفيتي عن استثمار واستغلال مثل هذا الخلل الموضعي والنسبي والمرحلي • ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفيتي يركز تحركاته السياسية في استراتيجيته الراهنة على قارتي آسيا وافريقيا • وتحركه في المنطقة التي تناولناها بالحديث واضح كل الوضوح • ولكن التحرك الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي يختلف اختلافا جذريا عن مثيله الاميركي • وسنناقش هذا الموضوع في مكان اخر لاحق من المحاضرة • ويهمنا الان ان ندرك ان هذا الخلل في الميزان الاستراتيجي لصالح الاتحاد السوفيتي في قارتي آسيا وافريقيا سيستمر في تقدير الخبراء الاستراتيجيين العالميين الى نهاية الثمانينيات • ويؤكد هؤلاء ان هذه المنطقة في قارتي آسيا وافريقيا وبالاخص في المواقع المكشوفة للتأثير السوفيتي ستشهد نشاطا سوفيتيا شرسا ومحموما للحصول على مواقع ومكاسب استراتيجية تخدم توجهاته وغاياته الدولية • وقد وصف بريجنسكي هذه المنطقة الممتدة من الفيتنام وكمبوديا عبر باكستان الى افغانستان وايران وحتى عدن والحبشة والقرن الافريقي بأنها قوس الازمات أو هلال الاضطرابات أو براميل البارود الشديدة الانفجار والسريعة الاحتراق المصفوفة جنبا الى جنب • وقد كشف بريجنسكي في هذا الوصف للمنطقة المذكورة عن طبيعة توجهات السياسة الامريكية وأولوياتها فيهذه المنطقة التي تدخل

الان في صلب وصميم السياسة الاستراتيجية الامريكية • ولكن الاتحاد السوفيتي من جهة اخرى يعتبر ان فيتنام وافغانستان وعدن والحبشة هي من أخطر المناطق التي تدخل في استراتيجيته • ونلاحظ ان هذا التحرك السوفيتي قد أدى الى تحولات ملموسة في المواقف الاستراتيجية التي كان الاتحاد السوفيتي ينتهجها في السابق • خذ مثلا انسحابه من التزاماته أو ايقافه للمساعدات التي كان يقدمها في السابق للصومال وارتيريا • وقد أقدم الاتحاد السوفيتي على اتخاذ مثل هذا القرار الاستراتيجي ونقل دعمه من الصومال وارتيريا الى الحبشة على الرغم من انتهاجهما للافكار أو السياسات الماركسية • ولكنه لاحظ في حساباته ان الصومال لا تمتلك القوة المادية التي تساعده ان يكون منطقة عازلة بين المصالح الامبريالية في اسرائيل وبين مطامح الاتحاد السوفيتي في المنطقة ، وتعين على وصول الاتحاد السوفيتي الى المياه الدافئة والبحار الاستراتيجية •

وقد وجد الاتحاد السوفيتي انه سيكسب من دعم وتأييد اثيوبيا أكثر من كسبه اذا دعم وايد الصومال • وفي ضوء ما تقدم ، يبدو جليا ان مصلحة الامن القومي للاتحاد السوفيتي قد تغلبت في حساباته على ايديولوجيته الماركسية • وثمة تقدير سوفيتي اخر يدخل في هذا الحساب ويمكن تلخيصه كما يلي : ان الاتحاد السوفيتي يتوجس خيفة من نضال جبهة تحرير ارتيريا على الرغم من وجود توجهات ماركسية بداخلها • لان الاتحاد السوفيتي يشعر بالخشية من وجود أي توجه قومي داخل أية حركة ثورية ولا سيما في منطقة استراتيجية دقيقة وحساسة وملتهبة مثل منطقة البحر الاحمر • ويتسم هذا الموقف السوفيتي بالغياب المطلق

للتعامل المرن • ولو كانت هذه النقطة منطقة غير استراتيجية لامكن في اعتقادنا للاتحاد السوفيتي ان يمارس نوعا من المرونة وان يبتعد قليلا عن المواقف الحدية وان يساعد تلك الحركة الثورية بالحدود التي تحفظ على الاقل حدا أدنى من العلاقة المجدية • الا ان الاتحاد السوفيتي قد امتنع امتناعا تاما عن ممارسة أية درجة من درجات المرونة في هذه المنطقة تجاه مسألة حيوية تتعلق بأمنه القومي • وفضلا عن ذلك ، نلاحظ ان الاتحاد السوفيتي قد امتنع كليا أيضا عن ممارسة أية مرونة تجاه حكام دول هذه المنطقة التي يتواجد فيها ويسيطر عليها والتي تضم الحبشة واليمن الديمقراطية وافغانستان وانغولا • وقد رفض الاتحاد السوفيتي أن يوافق على أية درجة من درجات الاستقلالية النسبية مهما كانت ضئيلة للحكام في تلك الدول• ومن هنا وقع انقلاب عبدالفتاح اسماعيل، الذي جاء في سياق المخطط السوفيتي ، لأن سالم ربيع علي قد مارس نوعا من الاستقلالية في الفترة الاخيرة من حكمه لم يستطع الاتحاد السوفيتي ان يصبر عليها أو يسكت عنها ، فقام بخلعه واستبداله • ومن المحتمل ، اذا سنحت أو استدعت الظروف في مرحلة لاحقة ، ان يصيب منغستو في الحبشة ما أصاب ربيع علي في عدن • ومن الواضح ان انقلاب حافظ أمين علي طرقي في افغانستان قد حدث في سياق مخطط سوفيتي أيضا يقوم على نفس ما ذكرناه من دوافع واسباب • واغلب الظن ان الظروف الغامضة التي احاطت بوفاة الرئيس الانغولي اوغستينونيتو تعود الى مخطط من النوع المذكور كما تدل الوقائع والمؤشرات • ويبدو ان هذا الرجل قد سقط في نطاق تصفيات من هذا النمط • لان السوفيت يقومون بتغيير أي حاكم يبدي نوعا من الاستقلالية في الدول الخاضعة لهم والمرتبطة بهم • واعتقد ان نيكاراغوا قد

استعصت على تدخلهم وافلتت من ايديهم . ولكن هجوم فيتنام على كمبوديا قد حدث أيضا ضمن السياسة السوفيتية المرسومة . لان كمبوديا في وضعها السابق كانت تشكل خللا للاستراتيجية السوفيتية .

الفوارق بين الاستراتيجيتين السوفيتية والامريكية :

دعونا الان نعقد مقارنة سريعة في الخصائص البارزة والتوجهات الاساسية بين الاستراتيجيتين السوفيتية والاميركية . فلاحظ ان اميركا تتحرك استراتيجيا تحركا كونيا شاملا يغطي معظم الكرة الارضية . وبالمقابل نجد ان الاتحاد السوفيتي يتحرك باتجاه الدفاع عن امنه القومي والمحافظة على حدوده شرقا (الصين) وغربا (اوربا) وجنوبا (ايران وافغانستان وباكستان) . ولكنه لا يتدخل بقرار مسبق في منطقة بعيدة الا اذا وجد فرصة سانحة اتاحتها خطيئة استراتيجية اميركية كما حدث فعلا في كوبا وانغولا . وتلتزم اميركا باستراتيجية متوسطة المدى ، وتهتم من هذه الناحية خصوصا بالسياسة التكتيكية. وبالمقابل ، نرى ان الاتحاد السوفيتي يعتمد على استراتيجية متوسطة أبعد في المدى الزمني من مثيلتها الامريكية . ويعود هذا الاختلاف بين طبيعة الاستراتيجيتين الى الاختلاف بين طبيعة الادارتين . فالاتحاد السوفيتي يتمتع بقيادة مستقرة قوية ثابتة ومستمرة لاتخضع للضغوط والتأثيرات المحلية والداخلية . وبالمقابل تتغير السياسة الامريكية تكتيكيا ونسبيا بتغير الرؤوساء المتعاقبين الذين يعتمد كل منهم استراتيجية متوسطة معينة ويتعرض الى الضغوط والتأثيرات المحلية والداخلية . ومن الواضح ان صانع القرار الاميركي يخضع خضوعا واضحا وبارزا للرأي العام الداخلي المؤثر ، في حين ان صانع القرار

السوفيتي لايتأثر بالوضع الداخلي الا بأقل الحدود ولا يدخل في حسابه الرأي العام المحلي • وكثيرا ما يصف بعضنا السوفيت وصفا غير دقيق بأنهم يتحركون خلف الاحداث • ولكن الواقع ان بعض جوانب الاستراتيجية الاميركية تقوم على التحرك قصير المدى وان الاستراتيجية السوفيتية بوجه عام تقوم على التحرك بعيد المدى • ومن هنا ، نجد أحيانا ان الاتحاد السوفيتي لايهتم بالتحرك الفوري السريع ، لان استراتيجيته تقوم على فترات طويلة وبدائل عديدة • خذ مثلا الاستراتيجية التي رسمها السوفيت لمدة عشر سنوات في المنطقة العربية ودخلوها عن طريق ارتباطهم بمصر • وقد استمر السوفيت في الاعتماد على هذه الاستراتيجية حتى طردهم السادات • فأدخلوا نوعا من المرونة على تلك الاستراتيجية بحيث ان تعاملهم مع الامة العربية يمكن ان يكون عن طريق سوريا أو العراق أو اليمن الجنوبي • وفي ضوء ما تقدم ، يلاحظ ان أي تغيير في السياسة السوفيتية لا يمكن ان يتحقق هينا وبسيطا •

نظريات الامن القومي في الشرق العربي :

ننتقل الان من الوضع الاستراتيجي على الصعيد العالمي الى الوضع الاستراتيجي في الشرق العربي • ونصل الحديث عن نظرية الامن القومي التي نعتمدها • والحقيقة ان مجموعة من النظريات للامن القومي قد ظهرت في منطقتنا • النظرية الاولى تخص تلك التي انتهجها الشاه •وهي نظرية عنصرية تعتمد على الكسب الداخلي عن طريق التحرك الخارجي• وتقوم على احلام الشاه وعنجهياته الامبراطورية وتوجهاته المعادية للعرب • وقد سقطت هذه النظرية طبعا بسقوط الشاه • وحلت محلها نظرية طائفية يقودها الخميني ولا تقل خطورة عن نظرية الشاه •ونلاحظ

من استقرائنا للوقائع وتقديرنا للمواقف وحسابنا للاحتمالات ان توجهات الخميني هي أخطر من الشاه • الا ان توجهات الشيوعيين المحليين في ايران هي أخطر من الخميني • وقد خلق الخميني وضعا مناسبا للنشاط الشيوعي المتزايد في داخل ايران • وبالرغم من خطورة التوجهات الخمينية فينبغي ان ندرج ان هناك خطورة قصوى تأتي من الطرف الذي سيحل محل الخميني • لان مرحلة الخميني قد دخلت الان في بداية النهاية • والمسألة حاليا لم تعد مسألة مرحلة الخميني ، بل أصبحت مسألة مرحلة الطرف الذي سيعقب الخميني • والنظرية الثانية التي كانت سائدة في المنطقة هي النظرية الاسلامية التي انتهجتها السعودية ، ويلاحظ بأنها نظرية تقليدية قديمة للامن اعتمدت على مجموعة الدول الاسلامية • ومن هنا اتت محاولة السعودية ان تتزعم الدول الاسلامية وما رافقها من مؤتمرات ولقاءات بهدف خلق نظرية أمنية عالمية للدول المذكورة • وقد سقطت هذه النظرية الان أيضا بسقوط نظرية الشاه • ولم يبق منها الا الناحية الشكلية • والنظرية الثالثة هي النظرية التي ينتهجها العراق • وتمتاز بأنها النظرية القومية العربية الشاملة التي تربط ربطا موضوعيا بين الامن القطري والامن القومي ، وتعتبر ان امن الامة العربية يعني امن كافة الاقطار العربية ، وان امن أي قطر عربي لا يمكن ان يتحقق في معزل عن امن الامة العربية أو باتجاه مضاد لها • وترى هذه النظرية ان وضع الامة العربية في كيان أمني متكامل يخدم أيضا مصلحة الامن العالمي فضلا عن امن هذه المنطقة بالذات •

تلك هي دراسة وجيزة ومقارنة سريعة للاستراتيجيات المختلفة التي تتعلق بالامن القطري والقومي والدولي •

الفصل الرابـــع

الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتوعية الأمنية(*)

المقدمـــة

من دواعي فخري واعتزازي أن ألتقي بـــكم واتحدث أليكم وأتوجه بالشكر العميق والتقدير الفائق الى عمادة كلية الاداب ولجنتها الثقافية على مبادرتها الطيبة ودعوتها الكريمة • وارجو ان يـــكون هـــذا اللقاء بابا مفتوحـــا وتمهيدا جادا مؤديا الى سلسلة من هـــذه الاجتماعات الاخوية العلمية التي تتدارس فيها ماذا يجب ان نعمل كل من موقعه ، ونخرج منها بالنتائج الواضحة والفوائد الجمة التي تعود على العراق والامة العربية جمعاء بالخير العميم والاستقرار الـــوطيد والارتقاء الشامل • وسيكون مدار حديثي حول موضوع يتســـم بخطورة أستثنائية بالاخص في المرحلة الراهنة ، ويحتاج الى اكثر من لقاء واحد ، كما يتطلب الالمام الواسع بأمور سياسية واجتماعيـــة وثقافية أضافة الى الاطلاع المبسط بالحد الادنى في الاقل على الوضعين العربي والدولي • وقد اخترنا اسلوب الايجاز وطريق الاختصار ، مدفوعين بحرصنا على توفير اوسع مجال للحوار الذي سيعقب هـــذا

(*) محاضرة القيت في الموسم الثقلفي بكلية الاداب جامعة بغداد بتاريخ ١٩٧٩/١١/١٩ •

الحديث • ونعتقد أن الاسئلة الاقرب الى الواقع العلمي ستؤدي الى الاجوبة الاوضح في الفكر والاسهل على الفهم والانفع في التطبيق • وهكذا تتوصل الى نتيجة تخدم أمن القطر وأمن الـوطن العربي • والحقيقة ان المحاضرة ، وهي « الابعاد الاجتماعية والثقافية للتوعية الامنية » ، تتناول موضوعا حيويا مهما للعاملين في الاجهزة الامنية التي تأتي معالجة تهديدات الامـن القومي في مقدمة مشاغلهـا وفي طليعة همومها • ونحن نعتبرها ، وفي هذا الوقت بالذات، من المسائل التي تتمتع بأولوية أساسية •

معنى الامـن وتعريفه

ينبغـي ان نسـأل : مـاهو الامـن ؟ ومـاذا يعنـي ؟ ولماذا نهتم به ونحرص عليه ونتحدث عنه ؟ لايستطيع احد ، كائنا من كان ، ان يستغني عن الامن • ولكن معظم الناس لايستسيغون الحديث عن الامن • لان الامن في نظر كثيرين من مواطنينا الان يعني غير مانعنيه ونقصـده •

فهل الامن هو الجيش او هل الامن يعني الشرطة او هل الامن هو اجهزة الامن والاستخبارات ؟ ماذا نعني بالامن ؟ كل واحد او كل شخص لا يعمل في الاجهزة الامنية يحمل افكار ومفاهيم عن الامن • الامن هو ليس الجيش فقط ولا الشرطة ولا الامن الوظيفي بالمعنى المألوف • الجهاز الحقيقي الامني هو أيضا لا يعني انه الامن بحد ذاته • الامن الان يعبر عنه بأنه عبارة عن مجموعة عوامل أو عبارة عن وعي المواطنين بكل طبقاتهم وافكارهم واهدافهم وانتماءاتهم بضرورة تماسكهم مع قيادتهم ضد اي خطر قد يهدد الامن الداخلي للقطر العراقي •

اذن نحن لا نعني الشرطة ولا الجيش ولا الاجهزة الادارية الاخرى • لان كلا من هذه الاجهزة لها واجبات يمكن ان تتحدث عنها حديثا مفصلا • فعندما نقول ان الامن لا يعني الجيش او الشرطة ، لا يعني هذا اننا نستهين بدور الجيش او الشرطة في الحفاظ على الامن القومي • لان كل جهاز من هذه الاجهزة له واجبات في الحرب والسلم• ولكننا نتحدث عن الامن الذي يتعلق بافكار المجتمع ، بانتماءات المجتمع ، بتماسك المجتمع ، بقناعات المجتمع ، بعلاقات المجتمع • وكلما كانت الفجوات أو الثغرات داخل المجتمع أقل ، كلما كان ذلك المجتمع اقوى ويتمتع بدرجة اعلى من الحصانة الامنية في مواجهة التهديدات الخارجية • على عكس المجتمع المتناحر الذي يضم مواطنين لا يشدهم الى وطنهم ولاء وطيد ، ولا يرتبطون بقناعة راسخة او علاقة وثيقة مع قيادتهم ودولتهم • هذا هو الامن القومي الحقيقي الذي يجب ان نتحدث عنه باستمرار • وكل المجتمعات تقاس قوتها وقدرتها على رد التهديدات الخارجية بوحدة الجماهير من جهة ، ثم وحدة الشعب مع النظام من جهة اخرى • ولهذا سوف لا نتحدث بشكل تفصيلي عن القضايا التقليدية التي تتمثل في القوة المادية • لا يكفي ان يكون المجتمع متماسكا ومتجانسا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا لكي يكون بالضرورة قادرا للرد على تهديدات الامن القومي الخارجية ، اذا لم يتوفر لدى المواطنين استعداد دائم للتضحية ، مقرون بالفهم والوعي ، واداء للواجب قائم على الصبر الجميل والنفس الطويل • وتتناسب القدرة على الرد طرديا مع تصاعد امتلاك الارادة او الامكانية للتضحية بالنفس دفاعا عن الوطن • ومثل هذا المجتمع الذي يمتلك قوة للرد على التهديدات بشكل جيد ويفسح المجال لقيادته ولدولته ان تتحرك في

مجالات السياسة الخارجية ، يكون افضل من الدولة التي لا تمتلك مثل هذا المجتمع ولا تمتلك مثل هذه الافكار المتماسكة والتضحية والاستعداد للعمل الدائب والبذل المتواصل • اذن الامن يعني امن الامة وامن الوطن دون اي تفريق بين شخص واخـر • ان الامن يعني ان البلد آمن من التهديدات الخارجية • والتهديد الخارجي لا يفرق بين شخص واخر ولا يفرق بين فئة واخرى •

والتهديد الخارجي يستهدف الامة بكاملها • اذن يجب ان يؤخذ مفهوم الامن القومي بانه مفهوم امن الامة بكاملها وامن الوطن بكامله، بكل ما يعنيه هذا المفهـوم من عمق وشمول • وهناك من يعتقـد ان تهديدات الامن القومي قد تقع على شخص دون اخر او فئة دون اخرى • وهذا المفهوم خاطىء ، ولا يرتكز على قاعدة حقيقية • وانما التهديد يستهدف الامة بكاملها • ولعلنا استطعنا الان ان نعطي تصورا ولو بسيطا عن معنى الامن ، واوضحنا ان الامن يوفر بالتأكيد لكل المواطنين الخيرين الطيبين المشدودين الى وطنهم بالولاء والانتماء ، والمؤمنين بتراثه الثقافي وتاريخه القومي ودوره المعاصر ومستقبله المشرق •

هؤلاء المواطنون يحق لهم ان يؤمن لهم الامن • وكل الاخريـن الذين لا يؤمنون بهذا الانتماء لا يحق لهم المطالبة بالامن • ومسألـة المطالبة بالحصول على الامن في الوطن هي مسألـة وطنية وقوميـة ، لا ينفصل فيها الجانب الامني عن الجانب الوطني والقومي • ومن هنا يوفر الامن لكافة المواطنين المتجاوبين والمتعاطفين والمتعاونين مع خطنا العام وتوجهنا العريض ، والمؤمنين بوحدة هذا الوطن وسعادته ومصلحته وكرامته ورفاهيته •

اما الناس الذين لا يؤمنون بهذه الصيغة ، فنعتقد ان المطالبة لهم بتحقيق الامن مسألة تتعارض مع مستقبل العروبة وامن العراق الذي هو امن الامة العربية •

الامن التقليدي والامن الثوري

تحمل جماهيرنا بالذات فكرة سلبية عن الامن التقليدي • وهذا صحيح ومن حقها ان تحمل مثل هذه الفكرة • ونحن جميعا نشاركها في مثل هذا الانطباع الذي تعود جذوره الى جرائم ومواقف وارتباطات الامن التقليدي القديم • هناك اذن فرق واضح وبون شاسع بين الامن التقليدي القديم والامن الثوري الجديد •

ومن الضروري للغاية ان نميز تمييزا واضحا دقيقا بين الامن التقليدي القديم الذي ارتبط بالعوائل المتنفذة والمنتفعة ، وضم جيوشا جرارة من الانتهازيين ، وكان شغله الشاغل الحفاظ على مصالح الحكام الانانيين والانظمة المتهرئة العفنة المعادية للشعب ، وبين الامن الثوري الجديد • والحديث عن سلبيات الامن التقليدي القديم قد يطول ويمتد الى ما لا نهاية • ولكن تصرفاته بدون شك قد أساءت الى سمعة الامن الثوري الجديد •

ونحن من ناحية اخرى ، لا نستطيع ان ندافع عن اخطاء الامن الثوري الجديد ، وهي على كل حال اخطاء ثانوية طفيفة في شطرها الاعظم وقسطها الاوفر ، وتتعلق الى حد بعيد بالتعامل اليومي مع المواطنين والافراد • لان الامن الثوري الجديد ايضا يحمل في احشائه كثيرا من سلبيات الامن التقليدي القديم • وسنكون في موقف ضعيف

ومتهافت لو حاولنا الدفاع عن هذه الاخطاء بحجج لا تدعمها الوقائع وقرائن لا تسندها الحقائق .

وينبغي ان نكون واضحين جدا مع جماهيرنا ومع شعبنا ومع مثقفينا . لان الحديث عن الاخطاء والسلبيات مع مجتمع مثقف لا يعني البحث عن صيغ جديدة وحلول علمية معقولة تساهم في تطوير هذه الاجهزة ونقلها سلوكا وعملا من الوضع القديم الى الوضع الجديد . لان الملاكات الموجودة في الامن الثوري الجديد هي ملاكات من البشر، والبشر ايضا يحمل عدة ثقافات اولية قديمة موروثة وجديدة مضافة . ولا نستطيع ان نجزم ماذا ثبت وماذا تغير من شخصية كل فرد . وتصرفات وردود فعل ضابط الامن في الجهاز الثوري الجديد تؤثر عليها بشكل واسع نظرة المجتمع الى هذا الضابط . اذن في المفهوم التقليدي للامن القديم يستطيع ، او يفكر ضابط الامن ان باستطاعته، العيش بمعزل عن الجماهير . ومن هنا ، لا توجد ضرورة ان يفهم ضابط الامن في الجهاز القديم ما هي مشاكل الجماهير وكيف تفكر وماذا تحتاج . لانها مسألة محسومة . لكن ضابط الامن في الجهاز الثوري الجديد يهمه ان يعرف كيف يفكر المجتمع وما هي مشاكل الجماهير وطبيعة العلاقة بين الضابط والجماهير . لا يمكن لجهاز امني يعتني ويهتم بالامن القومي ان يؤدي واجباته اداء جيدا ودقيقا بمعزل عن الجماهير . ومن الواضح ان هذا التفكير ، او هذا المبدأ ، غير موجود في الجهاز الامني في النظام التقليدي القديم .

الامن الثوري الجديد هو امن ايديولوجي يؤمن بقيم ومبادىء الحزب والثورة ، وضباطه ومنتسبوه عبارة عن مثقفين ثوريين ملتزمين لا يختلفون عن مجتمعكم اطلاقا ولهم نفس الاهداف ويتحسسون

بنفس الاحاسيس وعندهم نفس الطموحات التي تحملونها انتم •
وضابط الأمن الان او منتسب الامن هو عبارة عن فرد من شرائح
اجتماعية مختلفة من المجتمع العراقي عنده طموحات وعنده عائلة وعنده
حس انساني وحس ثوري ومنتمي الى فكر ثوري ملتزم ويحب الخير
للجميع مثل ما يحب الخير لنفسه ومرتبط ارتباطا وثيقا بالثورة التي
تقود الجماهير ومصيره يتوقف على مصير هذه الثورة • وفي ضوء ما
تقدم ، لا توجد هناك فوارق الا في تأدية الواجبات بشكل دقيق بين
ضابط الأمن وباقي الشرائح الاجتماعية في العراق •

ويتوجه هذا الجهاز ويعمل باستمرار للضرب على ايدي الاعداء
او ضرب العناصر التي تستهدف الثورة ونظامها والتي تحاول ان
تخرب وتعرقل الانجازات والمكاسب التي حققتها الثورة للجماهير •
ولكن اعمال وتصرفات هذا الجهاز قد تفهم او يساء فهمها من المواطنين•
لان كل الاجهزة في الدولة العراقية تلتزم وتعمل ضمن قانون ثابت
وواضح ليس فيه اي لبس او غموض ، باستثناء اجهزة الامن القومي •
لان متابعة اعداء الثورة وكشفهم لا تعتمد على اي قانون • وهذا
لا يعني ان جهاز الامن هو ضد القانون • بل بالعكس • فأن جهاز
الامن ينبغي ان يكون قبضة فولاذية قوية تضرب العابثين بالقانون •
فكثير من تصرفات او اعمال هذا الجهاز تفهم على انها تصرفات غير
منضبطة وغير قانونية ولا تعتمد على كثير من التقاليد الاجتماعية • هذا
صحيح • لان اجهزة الامن القومي في كل من بلدان العالم لا تخضع الى
تقييدات كثيرة • وانما المجتمع او الدولة قد اعطاها هذه الفرص للحفاظ
على الامن القومي • اما ان يساء استخدام الفرص الممنوحة لهذا
الجهاز من بعض اعضائه فهذه مسألة قد تناقش على انفراد في كل حالة

على حدة ويجب ان لا تنسحب على المجموع • لان تعميم الظاهرة البسيطة على مجموع الجهاز قد لا يؤدي الى خدمة المصلحة العامة • ويستمد هذا الجهاز قوته من المجتمع • فاذا كان المجتمع متماسكا مع هذا الجهاز • فعندها يمكن أن يؤدي هذا الجهاز واجباته الامنية على اكمل وجه وأفضل اسلوب • وفي الحديث عن هذا الجهاز ، ايها الاخوة، يجب أن نحيطكم علما بتوجيهاتنا الجديدة • يضم هذا الجهاز في صفوفه الان نخبة طيبة من المثقفين ومن الثوريين من اساتذة جامعة بغداد بوجه عام ومن اساتذة كلية الاداب بوجه خاص • ومثل هذا التوجه يعني بالتأكيد ان الثورة تتحرك الى الامام بدفع من العلم • لان اعداء الثورة لا يجابهون اي مجتمع من المجتمعات ، بالصيغ التقليدية والوسائل المألوفة • وهذا واضح تماما • ولعله يزداد وضوحا بالتجربة التي خضناها منذ بداية الثورة في ١٩٦٨ والى حد الان • فيلعب العلم ، والمنهج العلمي والتخطيط العلمي ، والبحث العلمي ايضا ، دورا اساسيا وضروريا في مواجهة اعداء الثورة ، اعداء الامة ، ورصدهم ، وتشخيص اخطارهم ، وكشف اساليبهم ، ثم رد كيدهم الى نحورهم •

اساليب القوى المضادة

لجأت القوى المضادة في البداية الى انتهاج اساليب تقليدية • ولكنها تحولت الان ، بعد سقوط هذه الاساليب التقليدية ، تفتش عن اساليب حديثة واساليب غير مكشوفة تتمتع باغطية لا يمكن فضحها بسهولة بمجرد ظهورها في المجتمع • وبعد ان فشلت القوى المضادة في تحريك الدبابة والطائرة والمدفع ، لجأت الى اساليب اخرى ، وبدأت تتحرك على المجتمع من الداخل ، على طريقة (حصان طروادة)•

والحركة داخل المجتمع يمكن ان تتم بأساليب عديدة وملتوية وباغطية كثيرة ومختلفة • اذن على الاجهزة الامنية التي تسهر على الامن القومي، ان تستخدم الاساليب العلمية في رصد وتشخيص وكشف تحركات قوى الثورة المضادة • تلك هي الطريقة المتبعة الان في جهاز الامن • ومن دواعي اعتزازنا وسرورنا ان تكون لدينا الان نخبة طيبة من الاساتذة في الجامعة يشرفون على اعداد وتطوير المستوى الثقافي للضباط والمراتب في جهاز الامن • وهذه بداية متواضعة تحتاج الى جهد متواصل • فكل مسيرة ، مهما طالت مسافتها وامتدت ، تبدأ بخطوة واحدة • وقد قطع جهاز الامن عددا من الخطوات على هذا الطريق • ونأمل ان تتعاون معنا كل العناصر الطيبة التي تمتلك المواهب والامكانيات • ولكن التغيير الذي حققته الثورة ، لم ينحصر في جهاز الامن فقط • وانما شمل كافة الشرائح الاجتماعية ومن ضمنها المثقفين• وكما كان نظام الامن القديم يسهر على مصالح ومصائر العوائل الحاكمة للانظمة المتهرئة ، كذلك كان النظام القديم المذكور يخطط للمثقف بأن يلعب دورا محدودا وفرديا وغير فاعل • وكان الشغل الشاغل للمثقف سابقا ، كما تعلمون ، يتركز بالدرجة الاولى في الحصول على الشهادة • وهي عبارة عن وثيقة لارضاء الوالدين للجهد الذي بذله في فترة طويلة من الدراسة • ومن ثم ، كان المثقف بعد ذلك يفكر كيف يخدم نفسه •

كانت ثقافة المثقف عبارة عن تبرير ولا تعتني بأي تغيير للمجتمع • اما الان وفي ظل الثورة فتلاحظون ان دور المثقف قد اختلف عن السابق، واصبح يقوم على المشاركة في تحقيق التغيير والمساهمة في تطوير المجتمع ، وليس العناية بالذات فقط • لان الثقافة للجماهير كما في المنظور القومي الاشتراكي ، وليست للفرد كما في المنظور البورجوازي•

ويبدو جليا ان التغيير لم يقتصر على اجهزة معينة وانما شمل المجموع ومن ضمنهم دور المثقف ٠

اذن هناك علاقة وثيقة بين دور المثقف في الثورة وبين دور ضابط الامن الملتزم والمؤمن بافكار الثورة والحزب ٠ اما ظاهرة بقاء بعض رواسب وافكار النظام القديم ، فهذه مسألة تتعلق بصراع الافكار الجديدة ٠ لان التطور والانتقال من الوضع القديم الى النظام الجديد، لا يعني ان الافكار القديمة في كافة الاجهزة قد قضي عليها كليا القضاء المبرم ٠ وانما هناك صراع دائم ٠ وهذه المسألة طبيعية في كل المجتمعات ٠

وستكون الغلبة بالتأكيد للافكار الثورية التي تخدم المجتمع وتقدم جهدا انسانيا للاخرين ، في النتيجة النهائية والحقيقة الاخيرة ٠ ويعاني جهاز الامن بالدرجة الاولى من مخلفات ورواسب الفكر القديم٠ ويبقى في صراع مع بقايا ومتحجرات الفكر القديم ٠ لان الافكار الثورية الجديدة تعتبر تدعيما لدور جهاز الامن ٠ فيبقى جهاز الامن في صراع ويتحمل قسطا كبيرا من اعباء محاربة افكار النظام القديم ٠ وفي طليعتها تلك الافكار التي لا تزال منبهرة بحضارة الغرب وثقافة الاستهلاك ، حضارة وثقافة الترف والاسراف والتبذير والمقارنات غير الموضوعية ٠ وهي الافكار التي يعاني منها ويتصدى لها جهاز الامن ٠ لان المجتمع الثوري القومي الاشتراكي الجديد لا يمكن ان يسمح بالمرور الطليق الحر والمجال الواسع الفسيح للأفكار والمقاييس المترسبة من المجتمع التقليدي القديم ، التي تطرح مقارنات غير موضوعية وتشكل بؤر استقطاب للقوى الرجعية ٠ أذن ، هذه المهمة هي من صميم واجبات جهاز الامن في هذه الفترة ٠ وقد تبدو بعض المقارنات ظاهريا

بانها مقارنات موضوعية • ولكن من غير معقول ان نعقد مثل هذه المقارنات بين مجتمعات تختلف موضوعيا وتاريخيا عن بعضها البعض ، بين مجتمعات قطعت اشواطا بعيدة من التقدم بعد ان قدمت تضحيات هائلة وانجزت مكاسب عديدة وبين مجتمعات لا تزال تغذ السير على طريق النهوض والارتقاء ، وتنوء تحت اثقال واعباء المخلفات والرواسب، وتستعد للدخول الى امتحان التاريخ دخولا مشرفا ناجحا • فهل من المعقول ان نسمح بمثل هذه المقارنات غير الموضوعية ؟ وتركز قوى الثورة المضادة تركيزا استثنائيا على هذا الجانب الان • لان كل الاسلحة التي استخدمتها قوى الثورة المضادة للتأثير على ثورتنا ، قد كشفت واسقطت • فبدأت الآن القضية الاقتصادية • لان المجتمع اذا كان يفكر بشيء في ذهنه وكان الواقع شيئا آخرا مختلفا ، فانه سيسقط في الازدواجية • وتلك هي الفجوة المفتوحة امام التسلل الليبرالي الى المجتمع الذي نبنيه بتجربة مميزة مختلفة عن المجتمعات الاخرى المتطورة الراقية ، وبتوقيت زمني يختلف عن توقيتات تلك المجتمعات • اذن تعمد تلك المقارنات الى استخدام مقاييس غير موضوعية هدفها تشويش المجتمع العراقي وحرفه وتمزيقه •

وهي الان اخطر التهديدات التي تجابه امننا الداخلي • ومن المفيد جدا ان تكون هناك مقارنات بين مجتمعنا وبين المجتمعات التي قطعت اشواطا كبيرة بالتضحيات الجمة والجسيمة الذي بذلتها • كيف نريد ان نكون مجتمعا متقدما ناهضا متميزا ، يمتلك القدرة على مواجهة التهديدات ، ونحن لا نزال نعتمد المقارنات غير الموضوعية بالاخص مع مجتمعات متمدنة مرت بظروف قبل وقت طويل من الزمان تشبه ظروفنا الان • فعانت الويلات والشدائد ، وصبرت على الاهوال

وصابرت الخطوب . وضحت بزهرة شبابها في الثورات والحـروب ، وأراقت دماء خيرة أبنائها دفاعا عن بقائها وارتقائها ، حتى وصلت الى رقيها الحاضر وتمدنها الراهن ومجتمعها المتقدم . وتلك هي التجارب والدروس الجديرة بالمقارنات الموضوعية المفيدة التي ينبغي أن نـلم بها ونطلع عليها ونحاول ان نستفيد منها .

لكن ان تقتصر المقارنة على الاشياء الشكلية ، فهذا يعتبر اخطـر انواع التخريب . ويعني ان يبقى المجتمع العربي مجتمعا استهلاكيـا تابعا للحضارات المتقدمة المنتجة ، وان تظل شخصيتنا القومية ، شخصية امتنا العربية العريقة الاصيلة ، ذائبة في هويات الآخرين من الامـم والثقافات ، وحينذاك ، لا يكون هناك ما يستدعي الحديث عن الشخصية القومية والامة المتميزة والارادة المستقلة والحضارة الاصيلة . وتلك هي بالضبط طبيعة المقارنات غير الموضوعية التي تطرح الان طرحا واسعا ومخططا في المجتمع العراقي .

ومفادها ان احسن نظام هو الذي يقدم مواد استهلاكية جيده . وان هذا النظام يقاس من خلال ما يقدمه من احدث الموديلات . فكيف يجوز أن نقارن بهذه الشكليات ؟ نحن لا نزال نحتاج الى كثير من التضحيات الجسيمة والجهود الدائبـة حتى تتوصـل الى مثـل هذا المجتمع . وليس من المعقول ان تعيش انت على تضحيات الاخريـن وتريد بنفس الوقت تكون انت عندك شخصيتك المستقلة وحياتـك المريحة ، ثم تريد ايضا ان تتمتع مجانا بما يتمتع به المواطنون في المجتمعات الاخرى المتمدنة التي دفعت ثمنا باهظا للتقدم الذي حققته من دمـاء ابطالها وارواح شهدائها في عقود متصلة وقرون متعاقبة . قد نستطيع

ان نختصر الزمن الى حد معين ، ولكننا لا نستطيع ان نختصر الثمن الا في اضيق نطاق •

وتلك هي المقارنة غير الموضوعية التي وصفناها • ومن هنا ، لزم ان نناقش هذه الافكار في ضوء ابعادها الخطيرة ونتائجها الحدية وعواقبها الوخيمة • لاننا كمثقفين لازلنا نؤمن بشيء ، ونفكر بشيء آخر ، ونعمل باشياء مختلفة لا تنسجم مع ما نؤمن به او نفكر فيه من آراء وقناعات •

الاثم الليبرالي

وهذه هي الافكار الليبرالية التي تدفع الفرد دائما الى التفكير بنفسه اولا ، وتقوده الى الانانية • فيكون التركيز على الفرد (انا) وليس على المجموع (نحن) •

وهذه هي النظرة الخطيرة التي يجب ان تحارب في مجتمع مثل مجتمعنا •

من حق المواطن ان يطالب بالحرية • وتلاحظ خاصة في الوسط الجامعي ان الطالب او حتى الاستاذ احيانا ، يفهم الحرية كما سمعها او شاهدها في المجتمعات الاجنبية المتمدنة • ويفهم من الحرية بانها التحرر من قيود وتقاليد وقيم وضوابط ومطالب المجتمع • ولكنه يرى الحواجز القائمة والقوانين النافذة • فيقفز الى الاعتقاد بافتقار البلد الى الحرية وبالاخص بعد مقارنة غير موضوعية مع امريكا مثلا • ولكن الوضع في مجتمعنا يختلف جذريا كما رأينا • لان حضور الحرية الفردية في مجتمعنا لا يمكن الا ان يؤدي الى غياب الحرية القومية غيابا مطلقا ايضا • ومن حق مجتمع في بلد ظروفه مثل بلدنا ان يطالب

المواطن الفرد والمثقف الواعي بامتلاك درجة عالية من المسؤولية العامة المقرونة بالتفهم والاستعداد للخدمة العامة مع التضحية بدرجة معينة من الحرية الفردية • لان ازدياد الحرية الفردية سيؤدي بالضرورة الى تناقص الحرية القومية في المرحلة الراهنة • على الامـة أن تتحرك على طريق تهيئة وتوفير فرص اكثر وافضل للاجيال القادمة • والحقيقة ان الجيل الحاضر سيتحمل ضغطا وتقييدا للحـريات اكثـر من تلك التي ستتحملها الاجيال القادمة • وهذا صحيح • ونحن نطلب من المثقفين ان يساعدونا في مواجهة هذا الموضوع • فهذا هو قدر هذا الجيل • لا يحق للمواطن في بلد ظروفه مثل ظروف بلدنا ان يطالب بكل ما يشتهيه ويرغبه شخصيا • والا ضاعت فرصة الامة والدولة في تقديم الخدمات وتحقيق المكاسب للآخرين من ابناء هذا الجيل والاجيال القادمـة • أما المقارنات غير الموضوعية مع ما يـدور في ميدان بيكاديللي في لندن او شارع الشانزيليزيه في باريس فأنها غير مشروعة وغير معقولة وبالتالي غير جائزة في امة مثل الامة العربية او بلد مثل العراق يختلف في نهوضه الثوري وتطوره الاجتماعي وتوقيته الزمني عن تلك البلدان • اذن هناك علاقة جدلية بين حرية الامة وقوة الامة ووحدة الامة وحرية وكرامـة مواطنيها • لا توجد هناك دولة في العالم تمنح حريات واسعة لمواطنيها وهي لا تمتلك كدولة حرية وكرامة وقوة بين دول االعالم • ومن هنا ، تكون المقارنة في الحريات بيننا وبين الدول والامم الاجنبية الاخـرى مقارنة غير موضوعية وتحتاج الى مناقشة واضحة وصريحة ودقيقة • وينبغي ان تتم المطالبة بالحريات في ضوء النظر الى واقع الوطن وحال الامة ، وان لا يثقل الانسان على وطنه وامته ، فيطالب بمـا ليـس في المستطاع او بما لا يطاق بالقياس الى الواقع الراهن والمستقبل المنظور•

فالدولة الحقيقية من خلال هذا الشرح البسيط هي الدولة القوية التي تحسن الدفاع عن حريات وحقوق الامــة • وبقــدر ما يمنــح المواطنون من فرص للدولة عن وعي واقتناع تتقوى وتمتلك القدرة الفعالة المؤثرة على محاربة اعدائها ، فبهذا المقدار تستطيع الدولة ان تدافع عن حقوق مواطنيها اذا ما تعرضت الى اي تهديد خارجــي او داخلي • وبعكسه ، لا يمكن ان تطالب الدولة بتأمين حقوق المواطنين او حرياتهم • واذا تمتعت الامة بدرجة عالية من الحرية الفردية في ظل دولة مجزأة ممزقة ضعيفة فأن هذه الحرية نفسها ستتعرض الى خطر الزوال والضياع اذا تعرضت الدولة المعنية الى التهديد الخارجي او العدوان الاجنبي •وانظروا الى الدول التي سبقتنا زمنيا في بناء معالم حضاراتها وارساء دعائم مجتمعاتها • تجدون ان جيوشا جرارة وجماهيرا غفيرة من مواطنيها من ابناء اجيالها السابقة ، قد تنازلوا طوعا واختيارا عن كثير من حرياتهم الشخصية الفردية الى امتهم دفاعــا عن حريتهــا القومية وتأمينا للحضارة الانسانية والنهضة الشاملة للاجيال القادمة ، وتأكيدا على حقوقها المطلقة في البقاء والبناء والارتقاء • وتمر امتنــا العربية الان بظروف استثنائية بالغة الدقة والحراجــة والخطــورة • والواجب القومي والانساني والاخلاقي ، وحتى الشــخصي والعائلي ، يدعو المواطن الآن الى التنازل ايمانا واقتناعا واختيارا عن كثير من حرياته الفردية • فيقدمها تضحية للامة ، حبا بها ودفاعا عنها ، فاذا ما وجد مثل هذا الوعي ومثل هذا الشعور ، فان الامة ستكون بخير وســيكون الوطن بخير ايضا ، مهما كانت الصعاب والمشاق والتهديدات والاخطار، فاذا تحملت الاجيال الحاضرة وصبرت وضحت ، فان مستقبل الاجيال القادمة سيكون مضمونا ومأمونا في حرز حريز ، وستذكرها بالحب

العارم والوفاء الخالد والتقدير الفائق والامتنان العظيم . والا ، اذا كان كل فرد او انسان او مواطن لا يفكر الا بنفسه ولا يعمل الا ليومه، ولا ينظر الى ابعد من ارنبة انفه ، فأين يكون التفكير بالمستقبل الافضل والغد الاجل ، وكيف وباي وجه نواجه ارواح الشهداء والابطال وماذا سيكون مصير الامة ، لان الشهيد او البطل لا يتقدم الى الموت باسما حرصا على نفسه بل حبا بالمجتمع ، ولا يموت استشهادا الا لكي تعيش الاجيال القادمة . وفضلا عن ذلك ، فان التحولات الاجتماعية من خلال التنمية في القطر استهدفت بالدرجة الاولى رفع مستوى الانسان العراقي ماديا ومعنويا وحققت نقلة نوعية جديدة في كافة الشرائح الاجتماعية في العراق . وقد انتقل المجتمع من حالة الى حالة اكثر تمدنا وعمرانا وتحضرا وتقدما . وفي نفس الوقت ، فان هذا الانتقال يحتاج الى نوع من النظام والالتزام . وكلما ازداد تحول المجتمع وتطوره وتقدمه ونهوضه ، كلما تعقدت الحياة واحتاجت الى طرائق وأساليب عملية جديدة في تنظيم العلاقات الاجتماعية . ولكن بعضنا لا يزال يميل الى الاعتقاد بأن التزام النظام يحد ويقيد الحرية . ومن هنا ، قد تنشأ حالات من سوء الفهم المصحوب بالتوتر والمشوب بالقلق . فتزداد بذلك الحاجة الماسة والضرورة القصوى للعلم والفهم والادراك والوعي . ومن الواضح ، ان كافة الامم التي انتقلت وتطورت من الوضع البدائي الى الوضع الاجتماعي، قد استبدلت الفوضى بالنظام ، والتزمت بالضوابط والقيم والقوانين، واحتاجت الى نوع من التنازل الطوعي الواعي عن كثير من الحريات . وهناك علاقة وثيقة مباشرة بين ظاهرة التمدن والتقدم وظاهرة حب النظام وتفضيل التعاون وتحقيق العمل المشترك . ومع ذلك ، لازالت

كثير من الشرائح الاجتماعية تعاني في هذه المرحلة الانتقالية بين حالة التمدن الجديدة والحالة القديمة من الناحية الاجتماعية . تطور المجتمع من جانب . ومن جانب اخر ، استمر البعض على موقفه القديم وسلوكه السابق ، كأن شيئا لم يحدث ولم يتغير فظهر نوع من الانفصام السلوكي او التذرر الاجتماعي او الجموح الفردي .

وتلك ظاهرة لا يزال مجتمعنا يعانيها الى حد معين في بعض المشاكل التي تواجهه والحقيقة ، ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تؤدي وحدها الى الحرية المنشودة . لانها لا يمكن ان تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية وحالة المجتمع وتقدمه وثقافته . كما ان الحرية المطلقة للفرد في ظل المجتمع تظل شعارا لا يرقى الى مستوى الواقع او الطموح . ولابد ان تتدخل الدولة بأي شكل من الاشكال للمحافظة على مصالح المجتمع وامنه ورفاهيته وحمايته من الفوضى .

تلك هي الظاهرة الاجتماعية الثقافية السياسية التي وصفناها « بالاثم الليبرالي » في القطر العراقي والوطن العربي وتعني اولا واخيرا ، الجموح الفردي والتذرر الاجتماعي .

الامن القومي والحرم الجامعي

في ضوء هذا الاستعراض السريع نستطيع ان نصف الامن القومي بأنه حاجة سياسية تشمل الجميع . و لايوجد هناك انسان في هذا المجتمع لا يهمه ولا يمسه الامن القومي . الجميع بحاجة الى الامن القومي . وتأمين هذا الامن ايضا متوقف على جهود الجميع . كيف ننظر الى الحرم الجامعي ؟ تلك هي أيضا مسألة تناقش باستمرار ، وتتطرق الى مجال الحرم الجامعي ، ونظرة الدول المتقدمة الى الحرم الجامعي . وهناك

افكار واراء مفادها ان الاجهزة الامنية هي ضد الحرم الجامعي • وهذه المسألة يجب ان تناقش بأهتمام مناقشة ابعد ماتكون عن المزايدة واقرب ماتكون الى الموضوعية • كيف ننظر نحن الى الحرم الجامعي ؟ من واجب اجهزة الامن القومي ان تعزز الحرم الجامعي • وكما ان اجهزة الامن القومي تعتني وتهتم بتعزيز وتأمين الامن القومي ، فكذلك هي تهتم وتعتني بالحرم الجامعي • ولكن هذه العلاقة ايضا تعود بنا الى المعادلة التالية : كلما كانت الدولة أقوى وأمنع وأمنها القومي أمتن وأرسخ ، كلما كانت اقدر على تعزيز وتوطيد حرمة الحرم الجامعي وتحصينه ضد أي تهديد واعتداء • فالحرم الجامعي لا يقف منفردا قائما بذاته في معزل عن امن المجتمع • فأذا كان هناك رأي بأن الحرم الجامعي يوجد بمعزل عن الامن المجتمعي ، فهذه ايضا نظرة خاطئة يجب ان تناقش • لان احترام الحرم الجامعي وتعزيزه يعني تعزيز امن الدولة وكرامتها وحريتها والتزامها بالعلم وحرصها على الثقافة ، ويخدم توجهاتها المركزية باتجاه تشجيع العلم والعلماء والتقدم العلمي• ونحن ننظر الى الحرم الجامعي من هذا المنظور• ونعتبر أي اهانة للحرم الجامعي تنطوي على اهانة لسيادة الدولة • وماسيادة الدولة الا احترام الحرم الجامعي وحرم المجتمع وامن المواطن في الشارع وفي المقهى وفي الدائرة وفي كل مكان • ومن الواضح ، ان النظرة البرجوازية الليبرالية للحرم الجامعي بمعزل عن حرم المجتمع ككل ، هي نظرة غير معقولة وغير واقعية ايضا • ننظر الى الحرم الجامعي من منظور ان المواطن في الحرم الجامعي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع ككل • وعليه ، ماذا يعني الحرم الجامعي المصون في ظل دولة لا تملك السيادة ولا تمتلك الكرامة ولا تمتلك القوة الموحدة المتطورة المقتدرة ؟ في مثل هذا الوضع ، لا يمكن ان يعني الحرم الجامعي شيئا ولا يمكن

ان يكون مصونا . أذن المجتمع وامنه عبارة عن عوامل عديدة تكمل بعضها وتؤدي بالنتيجة الى شيء يسمى « الامن القومي » . فأهتمامنا بالحرم الجامعي ينطلق من اهتمامنا بأمن المجتمع العراقي ككل . ولكن لكل مجتمع مواصفات وخصائص في طريقة التعامل . في الجامعة هناك امن يسمى الحرم الجامعي وفي المدرسة هناك امن المدرسة وللعامل حرمة وللفلاح وللعسكر . ولكن هذه الشرائح الاجتماعية تختلف في طريقة التعامل المطلوب وطبيعة الوضع السائد . وليس صحيحا على الاطلاق ان يقال ان اجهزة الامن القومي تتضايق من وجوب احترام الحرم الجامعي وتعزيزه . بل انها على العكس ، تعتز او تفتخر ان الامن الجامعي او حرمة الجامعة ، تماما مثل كافة شرائح المجتمع العراقي ، كلما احترمته وصانته تلك الاجهزة ، كلما كانت الدولة اقدر على امتلاك امكانيات الفعل والتأثير ، كلما كان مجتمعها بالتالي اقوى بكافة شرائحه . اما ان يتصور الطالب او الاستاذ داخل الجامعة ان هذا الحرم الجامعي يقوم بمعزل عن المجتمع العراقي وامن المجتمع وامن الامة فهذه نظرة برجوازية يجب ان تناقش ايضا بمنظار ثوري ينسجم مع التوجيهات الثورية التي يلتزم بها ويدعو لها حزب البعث العربي الاشتراكي . ومن هنا يثبت ان امن المواطنين كافة ، او امن هذه الشرائح الاجتماعية كلها مع بعضها ، هي التي تشكل مفهوم الامن القومي الشامل . وامن كل مواطن فرد من المجتمع يرتبط ارتباطا وثيقا بأمن المواطن الفرد الاخر . لا استطيع داخل المجتمع ان أهيىء أمنا لنفسي بمعزل عن المجتمع . ولا استطيع ان اتصرف بأمن المجتمع كما أشاء . أو كما أفادت الحكمة العربية القديمة المأثورة ما معناه : (زعموا ان جماعة من المسافرين ركبوا سفينة في عرض البحر استأجروها . فأخرج احدهم مسمار كبيرا واخذ يحفر قعر السفينة في

الموضع الذي اشغله . فتعالى صياح المسافرين الاخرين خوفا وهلعا . فأجابهم صاحبنا قائلا : هذا مكاني استأجرته بمالي ، ومن حقي ان افعل ما أشاء ، وانا حر ، وليس من حقكم ان تعترضوا او تتدخلوا . فأن منعوه نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا) . بأختصار ، هذا هو امن المجتمع . لا يحق لاي انسان أن يحفر في قعر المجتمع كما يشاء . لان المجتمع عبارة عن سفينة تحمل كل المواطنين فأذا تصرف أي فرد بحريته كما يشاء وبأرادته كما يشتهي ، فسوف يجلب الهلاك على نفسه ، وعلى المجتمع كله ، معا . ولا يزال هناك في المجتمع اناس يريدون ان يحفروا في قعر السفينة . واذا اعترض أحد عليهم ، فسيزعمون ان هذا تقييد للحريات وتضييق على الافراد ، وان هذا نظام غير ديمقراطي . ولا زال كثير من الناس يمارسون هذه الرياضة السيئة والعادة المهلكة ، وهي الحفر في قعر السفينة . ونحن نتوخى من هذه اللقاءات المتواصلة ان نصل الى حالة من حالات الاحتجاج على هذا التصرف الخاطىء الذي يقوم به بعض الافراد بحفر قعر سفينة المجتمع . لان كل الامم التي تهمها كرامة مجتمعها وكرامة ومستقبل ابنائها تتخذ موقفا حازما ضد هذا التوجه او هذا التصرف . واذا وجدنا اناسا لازالوا يتصرفون بهذا الشكل ، فلا يجوز أن نسكت عليهم أو نعرض عنهم . واذا كان تصرفهم يجد قبولا الى حد معين لدى بعض الشرائح الاجتماعية ، فمعنى هذا ان المجتمع لازال يعاني من حالة من حالات الجهل او سوء الفهم للامن القومي او الامن الداخلي . وهذا خلل خطير لا يمكن الا ان ينذر بالسوء ، وينبغي ان يردع .

الامن الداخلي والامن القومي والاقليمي والدولي

بعد هذا الاستعراض ، ايها الاخوة ، لابد للانسان ان يحدد موقفا من هذا الوضع الدولي ، وان يفهم ولو بأبسط شكل وادنى حد : اين

موقع العراق من الصراعات الدولية الراهنة ؟ وهل هذه الصراعات الدولية ستترك العراق وشأنه في هذه الثورة ؟ وان نصل ايضا الى صورة اجمالية عامة عن مخططات الدولة المجاورة والدولة الاجنبية والدولتين الاعظم وكيف ينظرون لنا في هذا الخضم من الصراع الشديد •

ومن المفيد جدا للمواطن ان يفهم الحد الادنى من هذه التهديدات الدولية •

لان التهديد الدولي في اي مكان من العالم ، يشكل تهديداً غير مباشر للقطر العراقي الذي اصبح الان قاعدة محررة للثورة العربية •

فالحديث عن الامن الداخلي مسألة مهمة وحيوية وخطيرة • وتتأكد وتتضح تلك الضرورة والخطورة بالرجوع الى تاريخ معظم الشعوب والامم التي خاضت غمار الحروب • فكان الامن الداخلي أو قوة ومتانة الامن الداخلي ، تلعب دورا كبير في مواقف وانتصارات وهزائم هذه الدول • تلاحظون ان كثيرا من الدول دخلت في معارك خارج حدودها وسقطت من الداخل قبل ان تسقط جيوشها في المعارك من الخارج • وتعرفون جيدا ما هو شعور المقاتل الذي يدافع عن بلده ووطنه في الخطوط الامامية ، فأذا ببلده او وطنه يسقط في الخطوط الخلفية ، وتدركون هول الصدمة التي سيعانيها المقاتل عندئذ• وكثير من الشعوب دخلت دولها الى معارك وخسرت المعارك في ساحة الحرب ، ولكنها لم تسقط في الداخل • وكثير من هذه الشعوب لم تسقط سقوطا اعتياديا وانما انتحرت انتحارا بأن قضت على نفسها قبل ان يقضي عدوها عليها • وبعضها لم تسقط من الداخل بالرغم من فشلها في المعركة وانسحابها وجيوشها ولكن بقيت تقاوم • ثم استرجعت قوتها المغلوبة واستردت

ارادتها الحرة المستقلة بعد زمن طويل او قصير بفاعليـــة النمو وعزيمة الصراع وارادة البقاء والبناء والارتقاء ، ولا يعني الاحتلال للدول أنها سقطت ، قد تغلب الدولة ، ولكنها لا تكون قد خضعت لانها لا تكون قد استسلمت ، وانما كثير من الدول انتحرت ، لانها غلبت من الداخل، أو خضعت الى العدو باستسلامها الى الهزيمة ، اذن يلعب الوضـــع الداخلي دورا خطيرا في مواقف وقرارات أي دولة من الدول ، ومن هذا المنطلق وفي ضوء خطورة الدور الذي يلعبه الامن الداخلي ، استعرضنا هذا الاستعراض البسيط لطبيعة المجتمع وضرورة تماسكه وضرورة عدم فسح المجال للعناصر التي تحاول ان تسيء الى وحدة المجتمع وتماسكه، ويعتمد الامن الداخلي اعتمادا كبيرا على المقومـــات التي تحدثنا عنها واشرنا لها .

وكلما كان الوضع الداخلي امتن ، كلما كانت قيادة الدولة اقدر بأن تتحرك قوميا وعالميا بحرية اوسع ، واول ما يتبادر الى ذهن صانع القرار الســـياسي في عملية صنع القرار ، ان يستعرض وضعه الداخلي استعراضا واقعيا شاملا ، وتدركون ايها الاخوة ، ادراكا واضحا قرارات وتصرفات قيادة الدولة العراقية على الصعيدين العربي والدولي ، ودور الامن الداخلي في هذه القرارات وماهو تأثير العراق على الامن القومي والوضـــع الدولي ، لان الامن الداخلي يرتبط ارتباطا وثيقـــا بالامن القومي ، اي كلما يكون الامن القطري للعراق امتن ، كلما كان المجال اوسع للقيادة السياسية ان تتحرك لافشال اي مخطط تصفوي تحاول الدول العظمى ان تمرره في مواجهة القضية الفلسطينية ، وقد لعب العراق دورا كبيرا وفعالا في ايقاف التداعي بعد مؤامرة كامب ديفيد ، فهل ان قرارات وتحركات القطر العراقي يمكن ان يقدم عليها ويعمل بها نظام

غير النظام العراقي الذي يستند على قاعدة متينة وقوة جماهيرية وتعبئة عقائدية وجبهة داخلية منيعة ؟ بالتأكيد ، لا • فكلما يكون الامن الداخلي امتن كلما يكون دور العراق في افشال هذه المخططات اقوى وافعل • واذا تعرض الامن الداخلي للقطر العراقي الى التهديد ، يتعرض الامن القومي العربي ايضا الى التهديد • وبالعكس اذا تعرضت دولة عربية الى التهديد في اي مكان من الوطن العربي الاكبر الواحد ، يكون هذا تهديدا للامن القومي • وتصريح السيد رئيس الجمهورية بأن الجندي العراقي سيقاتل الجندي السوفيتي او الجندي الامريكي الذي يعتدي على ارض السعودية قبل الجندي السعوذي ، يحدد بالضبط هذا المعنى المقصود والمفهوم الشامل للامن القومي • لان الامة العربية هي امة واحدة ، واي تهديد لاي جزء من هذه الامة يشكل تهديدا للاجزاء الاخرى • ويعني ما تقدم ، ان هناك علاقة جدلية وعضوية متبادلة بين الامن القومي للوطن العربي والامن الداخلي للقطر العراقي • فكل منهما يؤثر في الاخر ويتأثر به •

تهديدات الامن القومي

يأتي التهديد المباشر للامن القومي من الصهيونية والاستعمار بشكل عام • وهذا ما يشكل الآن تهديدا مباشرا حقيقيا للامة العربية • فكيف تتصرف انت كعربي في العراق وانت كعربي تنتمي الى امة عربية تمثلها بكاملها ضمن وضع عربي مشتت وضمن وضع دولي متوتر ؟ لا بد من استعراض بسيط : اذا عرفنا كيف تفكر الدول العظمى او كيف تنظر الدول العظمى للامة العربية من الناحية الستراتيجية البحتة ؟ ، فسيسهل علينا ان نفهم خصائص واهداف هذه التحركات الدولية •

وبالتأكيد فان الدولتين الاعظم من خلال سياسة الوفاق الدولي تتطابق مصالحهما ومواقفهما في كثير من المسائل في نظرتيهما الى الوطن العربي، وتختلف في نقاط اخرى . اذن ما هي نقاط التطابق بالنسبة للعرب ؟ الدولتان الاعظم قد اتفقتا اتفاقا ثابتا لا يقبل النقاش بضرورة بقاء « اسرائيل » كدولة في قلب الوطن العربي . ولكي نفهم هذه الحقيقة بشكل واضح ولا نخطأ في تحليلنا للتحركات الدولية للدولتين الاعظم بشكل خاص نقول : انهما يدافعان عن الكيان الصهيوني ويعتبران ان وجوده مسألة غير قابلة للنقاش اطلاقا . والشيء الاخر ان الدولتين الاعظم تحرصان بأستمرار أن لا تتحقق حالة من حالات التوحيد للامة العربية . والحقيقة الواقعة هي ان الطرفين الدوليين أو الدولتين الاعظم هما ضد الوحدة العربية . وفضلا عن ذلك ، فان الدولتين الاعظم تحرصان ايضا على ان لا تتعامل اي منهما مع العرب كمجموعة واحدة وأنما تتعامل مع العرب على شكل دويلات ومجاميع وانظمة ، كل حسب مصالحه واهوائه . وفي سياسات اخرى، تحرص الدولتان الاعظم ان يبقى المجتمع العربي مجتمعا مستهلكا مرتبطا بالاقتصاد الغربي او الشرقي . وهذا يعني ان الدولتين الاعظم لا تريدان ان تقوم صناعة ثقيلة في المجتمع العربي . وحينذاك ، لا يمكن ان تقاتل الامة العربية في يوم من الايام مجتمعا صناعيا متقدما مثل الكيان الصهيوني . ثم ان الدولتين الاعظم تحرصان دائما ان يبقى الوطن العربي في وضع مضطرب ومهزوز . وكلما كان الوضع الامني مهزوزا وساخنا في الوطن العربي . كلما كان اسهل للدول العظمى ان تتدخل في مساحات اوسع في كل قطر من اقطار الوطن العربي . وكلما استقرت الحالة السياسية في الاقطار العربية ، كلما كانت الفرص اضيق امام التدخلات الاجنبية في الوطن العربي . فهذا

بأختصار شديد يبين كيف تنظر الدول الكبرى الان الى المجتمع العربي • والجميع يتعاملون مع الانظمة العربية في ضوء مصالحهم القومية المحددة أو الاساسية، وليس في ضوء توجهاتهم العقائدية او اعتباراتهم الاخلاقية • لا توجد هناك في السياسة صداقات دائمة وانما هناك مصالح دائمة تخدم مجتمعاتهم • كيف تتصرف تجاه هذا الموقف ؟ الوفاق لا يعني التطابق ١٠٠٪ في السياسة • هناك فسح وهناك مجالات معينة بين الدولتين الاعظم • وبأمكان الامة العربية ان تتحرك في هذه الفسح والمجالات غير المحسومة والتي لا يوجد فيها تطابق نهائي كامل بين الدولتين الاعظم • وهذه هي فرصنا في مجال العمل الدولي • ماذا نعمل دوليا في الوقت الحاضر ؟ كيف تتصرف الان الدولتان الاعظم ؟ نراهما تشعران بالانزعاج والقلق من أي لقـاء حتى وأن كان لقاء الحد الادنى بين العرب • لانه يؤثر على جزء من الاستراتيجية الشـاملة التي تعملان بها على منع أو تعطيل الوحدة العربية • فمؤتمر قمة بغداد الذي رفع شعار الحد الادنى من الاجماع بين العرب قد اصبح الآن حقيقة واقعة ومشهودة • فهناك لقاء الان في الاستراتيجيات العربية وهذا هو الذي وصفه السيد رئيس الجمهورية بأنه لقاء الاستراتيجيات العظمى • اي اهتزاز في اي مكان من المنطقة العربية يعتبر الان هدفا اساسيا تعمل الدولتان الاعظم على تحقيقه لكي يسهل عليهما ويتاح لهما ان تتدخلا على هواهما •

هل ترتاح الدولتان الاعظم للنهج الثوري المستقل للقطر العراقي؟ بالتأكيد هذا اتجاه لا يحظى بتأييد لا الشرق ولا الغرب • والعراق الذي يسلك هذا الطريق يعتمد بالدرجة الاولى على قواه الذاتية وجهود ابناء شعبه • ومن هذا المنطلق ، تتوجه في كل مناسبة من هذه المناسبات الى شعبنا والى جماهيرنا • لان الدول الامبريالية والكبرى عندما تحسب

قوة اي مجتمع واي دولة ، فأنها تأخذ الموارد والامكانيات المادية وتضعها في الكومبيوتر (الآلة الحاسبة) ، مثل كذا دبابة وكذا طائرة وكذا مدفع وكذا جندي • وتخرج النتيجة بحساب دقيق ، ألا شيئاواحدا لا تستطيع الامبريالية ان تجد له حسابا في الحاسبة الالكترونية • وتلك هي قوة الجماهير ومعنوياتها وعزائمها وعقائدها • فنمتلك نحن في الواقع قوة هائلة وهي الاعتماد على جماهيرنا ومجتمعنا •

أي تهديد او أي حدث يحدث او يقع في الدول المجـاورة يؤثر بشكل غير مباشر في الامن الداخلي للقطر العراقي • وهذه هي جزء من سياسات الامبريالية التي تحرص دائما ان تكون احدى جارات العراق في وضع مضطرب وساخن • وهذه هي سياسة الامبريالية دائما ، حتى عندما كانت تركيا وايران مستقرتين ، كانت تحركها الامبريالية للمطالبـة بترسيم الحدود • ومن الكويت انتقلت الى السعودية ومن السعودية الى الاردن ومن الاردن الى سوريا • وهكذا تهتم الامبريالية بالدرجة الاولى ان تخلق حالة من حالات القلق والاضطراب على الحدود العراقيـة • فيجب ان نفهم على أقل تقدير ما هي ظروف الدول المجاورة • كلما كان فهمنا أدق وأوضح للدول المجاورة ، كلما نكون أقدر على التأثير في هذه الدول اذاهددت أمننا الداخلي ، ويكون تأثيرنا في أمنها الداخلي أقوى وأشد •

والعكس بالعكس • وكان السيد الرئيس على حق بقوله ان من يطرق على سياجنا الخارجي نطرق على سياجه الداخلي • ولكن كيف تطرق على مثل هذا السياج للعدو وأنت لا تعرف وضعه الداخلي وثغراته؟ أما الثغرة التي نعانيها نحن فهي اننا لا نعرف الكثير عن تفاصيل ونقاط

ضعف المجتمعات المجاورة التي تشكل تهديدا قوميا دائميا تاريخيا للوطن العربي • تلك هي ، ايها الاخوة ، بالدرجة الاولى ، الاسباب التي دعتنا ان تتوجه لكم • ومن يعتمد على شعب كامل متحد في السواعد والقلوب، بأمكانياته الخيرة ، ويضم في صفوفه نخبة طيبة من الشباب الواعي الملتزم ، بأمكانه ان يصارع الاعداء مهما كانت قوتهم • وهذا معنى مقولة السيد الرئيس (تتوجه للشباب لكي نضمن الحاضر ونكسب المستقبل) • ايها الاخوة ، بأختصار ، ان امتكم تحتاجكم الآن ، وتحتاج الى جهودكم وامكانياتكم اكثر من اي وقت مضى •

وشكرا لكم على اصغائكم •

الحوار

سؤال

عن المقارنات اللاموضوعية • لما كانت المقارنات اللاموضوعية هي سلاح من أسلحة القوى المضادة . وقد يكون البعض ضحايا لفاعلية هذا السلاح من خلال مداعبته لبعض النزعات النفسية ، فما هو واجب الاجهزة الامنية بشكل خاص لمواجهة هذا السلاح ؟

سؤال

عن الحرم الجامعي • هل يعني أن الحرم الجامعي ماهو الا حرم المجتمع دون تلك الخصوصية أو الشخصية المعنوية التي تميز الحرم الجامعي ؟

جواب :

المقارنات اللاموضوعية التي أشرنا لها وتحدثنا عنها هي ظـواهر اجتماعية ، يعني ان انتشار مثل هذه الافكار في المجتمع تؤدي بالنتيجة الى تصرفات خاطئة أو ظواهر سلبية . قد يقع جهاز الامن في أخطاء طفيفة للغاية من هذه الناحية ، ولكنها طبعا لاتدخل في نطاق واجبات الامن بالمعنى الدقيق . بل انها مسألة اجتماعية . ألا أنها اذا شاعت في المجتمع على نطاق واسع فستؤدي الى أضرار فادحة وعواقب وخيمة ، ويكون عرضة لاي تثقيف ضد مسيرة الثورة والحزب . ولا يمكن بالطبع ان تعهد مهمة محاربة مثل هذه الافكار الى جهاز الامن . واعتقد أن حديثي عن الحرم الجامعي كان واضحا ، فالحرم الجامعي مصون وله ظروف تختلف عن حرمة الشرائح الاجتماعية الاخرى . وذكرت أن صيانة الحرم الجامعي هي جزء من صيانة أمن المجتمع . فأذا كان أمن العامل والفلاح والمثقف والمعلم في المدرسة غير مهدد ، فأن هذا سيكون قوة مضافة للحرم الجامعي . ومن الواضح ان الاساليب المطلوبة في صيانة أمن الحرم الجامعي ، تختلف عن الاساليب المطلوبة في صيانة أمن المعمل والحقل . ومن المؤكد ان هذه المؤسسات تختلف عن بعضها في ظروفها الخاصة وأوضاعها المتميزة .

سؤال عن الديمقراطية والحرية :

جواب :

تحدثت اليوم عن مسائل أشبه ما تكون بأطار عام أو استراتيجية المجتمع . وحذرت من شيء واحد يتعلق بكيفية فهمنـا للديمقراطيـة والحرية . ولكل مجتمع ظروفه وتقاليده . فالديمقراطية ضرورية طبعا .

ولا يمكن لاي ثورة ان تتحقق في المجتمع سياسيا واجتماعيا وثقافيا بدون فتح المجال للديمقراطية . أذن الديمقراطية حالة تمنح لضرورتها وفائدتها . لكن الذي تحدثت عنه وأكدت عليه يتعلق بالمقارنات التي تجرنا الى الوقوع في أفخاخ لبرالية . الدعوة الى التمتع بالحريات يجب ان تتناسب مع ظروف المجتمع والمرحلة التي قطعها في ثورته الاجتماعية . والبداية التي باشرها السيد رئيس الجمهورية في افساح المجال للانتخابات المباشرة تفهم باعتبارها بداية ثورة اجتماعية لها أكثر من بعد واحد . ليس البعد الديمقراطي فقط . وانما تعني الثورة على الروتين والبيروقراطية ، بداية ثورة اجتماعية ثقافية بكل ما تعنيه الثورة الاجتماعية . العراق الان قد تجاوز الثورة السياسية . ولكن الثورة الاجتماعية لازالت في بدايتها . والمعوقات التي قد تجابه جهاز الامن فعلا تخص علاقته مع الفرد في التعامل اليومي . ونحن نتوجه الى الفرد بالدرجة الاولى سواء كان الحديث عن النظام أو الجهاز . وليس أصعب من التعامل اليومي مع الافراد . ومن هنا ، فأن الحديث عن المعوقات بمعزل عن الطرق الصحيحة للتعامل مع الفرد وفي ضوء العوامل الضاغطة على الوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي للفرد ، يكون بعيدا عن الواقع ، خاليا من النفع . أستطيع أن أعدد مئات من المشاكل ومئات من الاقتراحات . ولكن لا هذه ولا تلك تحقق نفعا ، ان لم تتحدث عن طبيعة المجتمع وصيغ التعامل معه بشكل علمي . ونحن بحاجة أن نتحدث بشكل واسع عن همومنا وهمومكم . لان هذه المسألة تتعلق بالمجتمع ككل . ولكن لا يتسع الوقت أن نتحدث عن كل همومنا وكل مشاكلنا . بل طرقنا الباب الشامل بقولنا ان الجهاز الامني الثوري هو جزء من المجتمع . ومن غير المعقول أن يطالب جهاز الامن بأن يكون

مثقفا وان يكون بعيدا عن العشائرية والعائلية والطـائفية والافكـار الرجعية في مجتمع يعاني من أمثال هذه السلبيات ، ولكنني اردت أن أقول ان أي حديث عن جهاز دولة بمعزل عن حركة اجتماعية بكاملها قد ينطوي على الكثير من الخطـورة والتشـنج واللاموضوعية . ولكن افترضنا . وهذا فعلا موجود ، ان جهاز الامن هو شريحة اجتماعيـة تعكس واقع هذا المجتمع . فنرى ان ضابط الامن اذا خرج في مهمـة معينة ثم وجد تعاونا من المواطنين في الادلاء أو التوجيه للوصول الى الشخص المطلوب ينبري البعض بالقول ان هذه الظاهرة غير حضارية. اذن المجتمع لا زال يعاني من الخلل . وضابط الامن الذي يخرج في واجب معين يتعلق بألقاء القبض على شخص . سيقوم بأعتقاله فعلا . ولكن لا توجد دولة في العالم بلا توقيف ولا سجن ولا جهاز للامن . ولا توجد دولة لا تضغط في حالات معينة على حرية مواطنيها . ولكن يجب أن يفهم المواطن ان هذا الضابط عنده واجب يتعلق بأمن المجتمع ككل . متى تحصل هذه القناعة وهذه العلاقة ؟ عندما يتحول المجتمع بأفكاره وعقليته من الوضع الراهن الى وضع أفضل . عند ذلك تكون عنده ثقة بضابط الامن بأنه لا يمكن ان يوقف الناس كيفيا . ولا شك ان ظروف العمل للضابط في دول اخرى هي أفضل . لماذا ؟ لان المجتمع يعرف حقه ويعرف واجبه . ولا يوجد معوق . ولكننا لا نزال نعاني من معوقات عديدة . ونرجو أن تزول تدريجيا بالتطور المتزايد والجهـد المتصاعد والوعي المتنامي ، في ظل الثورة وتوجيهات قيادتها .

سؤال : عن ضرورة عقد ندوة مختصرة عن القضايا الاستراتيجية

جواب :

فعلا ، أحد الاخوان قدم اقتراحا بان تعقد ندوة مختصرة عن القضايا الاستراتيجية . وهذا مفيد جدا . ونأمل أن تسنح الفرصة حتى نطرح هذه الاراء . أين نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بين الدولتين الاعظم ؟ لاشيء في السياسة ثابت . كل شيء متغير كل شيء متحرك ، ويؤسفني ان الوقت لا يتسع للاطالة . وقد ألقيت محاضرة عن هذا الموضوع في جامعة البكر استغرقت يوما ، واعقبها حوار دار في يوم آخر . وأرجو أن تساعدنا الفرص والظروف فنقوم بطبعها ونشرها .

سؤال : عن تغير ظروف المجتمع واختلاف خصائص الامن :

جواب :

الحقيقة هناك فرق ، وفرق كبير ، لان مجرد تغيير الانسان والمجتمع والنظام يعني ان ثمة تحولا جذريا وانعطافا أساسيا قد حدث . وقد تحول الامن من جهاز يخدم انظمة متهرئة انظمة لا تهتم بمصلحة البلد الى جهاز يضم عناصر مثقفة ترتبط مصيريا بالثورة والحزب . هناك اذن كما قلت سابقا واكرر الان ، فرق ، وفرق كبير . ولكن الفرق الذي يعنيه السائل كما اعتقد يتعلق بالتطور النوعي للجهاز . وهناك تطور جيد . ولكن كل ما نستطيع ان نقدمه مرهون بتطور عقل الانسان . الان يمكن اذا سنحت لكم الفرصة تزورون مركز التطوير الامني . وقد زودناه بأحدث الاجهزة ، سيارات حديثة ، أجهزة الكترونية ، مواصلات حديثة ، وأحدث ما حققه العلم الان في العالم . ولكن الشيء الاهم هو : كيف يستخدم هذا الجهاز ، والانسان الذي يستخدمه . فهذا الجهاز والمواطن المكلف باستخدامه يصبحان حملا ثقيلا وعبئا باهظا اذا لم تتوفر المعرفة العلمية والخبرة الفنية . والحقيقة ان دخول

التكنولوجيا بشكل سريع وغير موضوعي على قسم من الاجهزة ينطوي ايضا على نوع من التخريب .

سؤال : عن حرب الاشاعات

جواب :

الاشاعة هي من المسائل التي تهدد الامن الداخلي . كيف تتوجه الاشاعة وكيف نحارب الاشاعة ؟ وهذه مسألة معروفة . ولكنها تتخذ الان اشكالا مختلفة . وهناك ، مثلا ، اوساط تزعم ان مشكلتنا الان هي مشكلة النقل ، وهي مشكلة مادية . توجد امكانية من شأنها تزويد كل فرد عراقي بباص وليس مجرد سيارة صغيرة . ولكن ليست هذه هي المشكلة . بل الدعاية التي تقول ان الاحرى بالعراق ان يصرف الملايين على استيراد السيارات بدلا من صرفها على تقديم مساعدات وقروض الى بعض الدول الافريقية . هذه هي من الاخطار الموجودة في مجتمعنا .

ومن الخطأ الفادح ان تمزج بين قضايا السياسة الخارجية وقضايا التوجهات الايديولوجية التي تعتمدها الدولة . والقرار الذي يتخذه القائد السياسي يبتعد عن نقطتين ابتعادا مقصودا . الاولى هي التأثيرات الادارية والبيروقراطية في جهازه . والثانية أن لا يتأثر بالعقائد الايدلوجية لانها تخص السياسة الخارجية ولا تمسها ولا تدخل في صلب حساباتها .

فالمواطن العادي اذا بقي يمزج بين القضايا العقائدية والسياسة الخارجية ، فسيؤدي هذا الى حدوث ارباك واحراج لانه قد يحد ويقيد من حرية المناورة وسرعة الحركة التي تحتاجها القيادة السياسية في السياسة الخارجية وهذه الظاهرة هي من الاخطاء التي نعانيها والاخطار التي نواجهها الان .

الفصل الخامس

تهديدات الأمن الداخلي (*)

في ابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

مقدمة :

أنها لفرصة سعيدة جدا أن نلتقي في هذا المكان . ونشكر الاخوة المسؤولين عن الاسبوع الثقافي على دعوتهم لنا للمشاركة في هذا الجهد الطيب المشكور . وسأحاول أن أستعرض المشاكل التي تتعلق بالامن الداخلي أستعراضاً وجيزا سريعا ونأمل أن تساهموا في النقاش حول هذا الموضوع . لأن تهديدات الامن الداخلي تتعلق بكم أنتم بالذات في حياتكم العملية . ومن المؤكد أن هناك العديد من الاسئلة التي تدور في أذهانكم لأن الجانب العملي ليس كالجانب النظري . وكما أن الجانب العملي مهم وخطير ، فالجانب النظري أيضا مهم وخطير . وبالمناسبة أيضا فأن الدورة الاولى التي تخرجت من هذه الكلية قد بدأت الان تساهم بالحياة العملية وباشرت في تطبيق الكثير من التصورات النظرية على الواقع .

(*) محاضرة القيت في الاسبوع الثقافي لكلية الامن القومي بتاريخ ١٩٨١/١/٥ .

أن الحديث عن تهديدات الامن الداخلي يتعلق بالامن في جميع الحالات • وهو يعني الحديث عن السياسة • والحديث عن تهديدات الامن الداخلي لاينفصل عن الحديث عن تهديدات الامن الخارجي • بل أن هناك علاقة وثيقة بين الامن الداخلي والامن الخارجي • ومايحدث في الامن الخارجي (القومي والاقليمي) ينعكس بشكل أو بأخر على الوضع القطري والامن الداخلي • وما يحدث في الوضع القطري ينعكس أيضاً على الامن القومي • ومن هنا سنعرض عرضا وجيزا سريعا مايتعلق بالجوانب المختلفة للتهديدات التي تخص الامن الدولي من الجانب السياسي تحديدا • هناك تهديدات تقليدية للقطر العراقي سبق أن تحدثنا عنها في لقاء سابق • وربما يكون من المفيد أن نستعرضها مجددا في هذا اللقاء • ولكن هذه التهديدات التقليدية لاتتعرض للامن الداخلي للقطر العراقي في وقت واحد بنفس المستوى على حد سواء • بل أحيانا تتجمد ناحية وتتحرك اخرى • وقس على هذا المنوال . حسب المخططات المرسومة وحسب الظروف الدولية المحيطة بالامن القومي والتوازن العالمي •

اولا : تهديدات الامن الداخلي :

١ ـ **القضية الكردية :** وهذه الورقة هي من الاوراق الضاغطة والمتفجرات الموقوتة التي تهدد القطر العراقي تهديدا دائما ومن يدرس تأريخ القضية الكردية يرى أنها ورقة عالمية ضاغطة على القطر العراقي والى حد معين على تركيا وايران • والقضية الكردية تخضع للوضع الدولي ، وحسب المخططات المرسومة لها • فأحيانا تهدد القطر العراقي تهديداً جدياً وحادا وتارة أخرى تتعرض الى الامن التركي أو الايراني•

وهكذا حسب الظروف الدولية التي تحرك هذه القضية على أعتبار أنها اصبحت قضية تستقطب أهتمامات دولية متعددة الوجوه والاطراف .

٢ ـ المسألة الطائفية :

والمسألة الطائفية ، أو المسألة الدينية بالاحرى ، هي من المسائل التي تعتبر أيضا من التهديدات التي تتعرض للدول الاسلامية . لانــه لا يوجد هناك مجتمع في العالم متماسك من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية تماسكا كاملا مطلقا . بل ان هناك عدة ثغرات في كل مجتمع من المجتمعات . وسنقدم في نهاية الحديث تصورا عاما أو تخطيطا مبسطا للوضع في كل مجتمع وكيف تستغل هذه الفجوات الثقافية والاجتماعية والدينية. الان أيها الرفاق تلاحظون أن المسألة الدينية دخلت دخولا حاسما واساسيا في صلب وصميم المخططات الامبريالية ، وأن خطة الامن القومي الامريكي الان هي تفجير الاوضاع الداخلية عن طريق تصعيد العصبيات ووضعها وضعا متناقضا مع القومية . وقد أخذت هذه النظرية الان تلعب دورا كبيرا ولاسيما في الشعوب التي لا تشد مواطنيها ولا توحدهم الا الرابطة الدينية أو الجامعة الاسلامية . أعني : أن المجتمع المسلم في أي دولة من الدول ، أذا كان الاسلام هو العامل الرئيسي الجامع الذي يرتبط به ويتفق عليه الشعب ، يكون في وضع مثالي مكشوف للمخطط الذي تنفذه امريكا . ويبدو أن أيــران هي المثال الوحيد أو المثال النموذج في تطبيق هذه النظرية الى حد الان . لان القاسم المشترك والولاء الموحد في المجتمع الايراني ليس الا الدين. فالكل يتوجهون له ويلتزمون به ويتفاعلون معه لان العامل القومي يتسم بالضعف ، والعامل الديني أقوى وأفعــل ويلعب دور القــوة المحركة

والطاقة الدافعة والرابطة الجامعة • والآمال الامريكية معقودة الان على استغلال هذه النظرية في الدول المجاورة لايران • وتلاحظون أن تلك الآمال معقودة بوجه اخص على قضية الصراع الطائفي • ومن المصلحة، أن نتحدث في هذا المجال أيضا وبوجه خاص عن النشاط الذي تتبناه أيران في صراعها مع العراق والمتمثل في حزب « الدعوة » الرجعي الذي يحمل غطاء الدين الاسلامي • وتوجد الان في الامن العامة وثائق ومستمسكات خطيرة تثبت أن هذا الحزب ، أي حزب « الدعوة » المتظاهر بالغيرة على الاسلام زورا وبهتانا ، قد وجد في أيران على عهد الشاه منذ ١٩٥٨ • يعمل حزب الدعوة في العراق الى حد الآن • ومعظم المؤسسين لهذا الحزب هم ايرانيون • وتوجد لهذا الحزب فروع في أيران والكويت ودول الخليج العربي وسوريا والى حد معين في مصر • طيلة هذه الفترة منذ ذلك الحين ، لم يتحرك هذا الحزب تحركا واسعا ونشيطا ، ألا بعد أن أوكلت أليه وأنيطت به هذه المهمة ، وهي أن يتحرك في هذا الظرف بالذات • علما أن الفروع الموجودة لهذا الحزب في الاقطار التي اشرت لها ، لا يحق لها أن تعمل ضد الاقطار التي هي تتواجد فيها • بل أن يتوجه كل هذا النشاط ضد القطر العراقي حصرا وتحديدا واقتصارا أي ان الفروع الموجودة في الكويت وفي سوريا وفي لبنان وفي دول الخليج العربي من الحزب مكلفة أن لا تنشط ألا بأتجاه عدائي مضاد للعراق فقط • وهناك شعار مرفوع هدفه اشعال الوضع ونشر الفوضى داخل القطر العراقي • ويقوم تحليلهم على أساس أن تفجير الاحقاد الطائفية من خلال تأجيج العصبيات الدينية قد أصبح الان هو الشعار الميداني المطروح بتوجيه من أيران • فاذا انفجر العراق واشتعل أو سقط ، لا سمح الله ، فان الشعوب الباقية والدول الاخرى في المنطقة

ستكون بالطبيعة والضرورة بمثابة فريسة سهلة ولقمة سائغة وغنيمة باردة للمخطط المذكور . وسوف تتعرض الى نفس النتائج أذا مانجحت هذه المحاولة ، أو أذا ما نجح هذا الحزب بالتعاون مع بعض الاحزاب العميلة والتابعة في أستلام الحكم في القطر العراقي . ومن هنا نلاحظ الان أن أخطر تهديد يتعرض للقطر العراقي في مخططات الامبريالية يقوم على العصبية الدينية العمياء والاصطياد في الماء العكر للمسألة الطائفية . وأصبح الان من المهم جدا أن تتصارح وتتكاشف ويطلع الحزب وأنتم بالذات على أساليب هذه القوى الشريرة الخبيثة الحاقدة. وتوجد الان في حوزتها أسلحة ومتفجرات وسموم . وقد أستلمتها هذه القوى من أيران للعمل ضد العراق . ومن المحتمل ان يظهر قسم من قادة هذا الحزب على الشاشة في فلم . وربما نقرر عرضه عرضا خاصا على المنظمات الحزبية والجماهيرية ، للاطلاع على اساليب هذا الحزب وكيف يوجهه الارتباط الاجنبي توجيها مركزيا وهناك مسائل حساسة لا زال الحديث عنها والتطرق لها ينطوي على شيء من الحرج . ونحن كمجتمع مسلم موجود فيه شيعة وسنة وموجود فيه مسيحيون على اختلاف اتجاهاتهم . فبالنسبة لنا كبعثيين يجب أن تتنبه الى هذا الباب او المنفذ الذي تحاول الامبريالية أن تدخل منه . وليس عيبا أن يكون في المجتمع العراقي طوائفا وأديانا من شيعة وسنة ومسيحيين . كما ان الشيعة والسنة لهم تاريخهم الطويل والعريق في مجال الفقه الاسلامي . ونحن نعتز بالشيعة والسنة معا وعلى حد سواء لان هذا هو تراثنا . ولكن بنفس الوقت يختلف شيعة العرب عن شيعة العجم . لان الاحداث قد أثبتت ، وهذا ماسترونه فعلا ، أن قادة حزب الدعوة من الجنسيات العربية محاربون ومنبوذون ولايحق لهم استلام المواقع القيادية . وحتى

هـذه النواحي توضحت بشكل لا يقبل النقاش من خلال كوادرهم بالذات . وسوف ترون كيف يتحدثون عن هذا الجانب وبنقاشهم حول الدين والقومية ، نلاحظ أنهم جهد أمكانهم يحاولون أن يفصلوا الدين عن القومية لان الجانب القومي يعتبر أن العرب هم مادة الاسلام . ونراهم ينفذون مخططاتهم ويتحججون في حقدهم على العرب لان العرب في زمن الفتوحات الاسلامية قد ازالوا حضارة الدولة الساسانية من الوجود تماما ، كما نرى أن تصرفات الخميني الان هي اخطر من تصرفات الشاه ، وأن الشاه كان مكشوفا ومعروفا بأنه شخص أمريكي. ولكن الخميني المتستر بالاسلام أخطر من الشاه . وفي نفس الوقت ، نرى أن الشيوعيين أخطر من الخميني . لان الاجواء الحالية هي الاجواء المثالية التي تنشط فيها وترتاح لها الشيوعية . وتلاحظون الان كيف تسعى القوى الدولية سعيا حثيثا دائبا الى دعم وتعزيز عملائها في الداخل .

فهذه حالة جديدة أيها الاخوة . وحالة صالحة للاستغلال . ويعتبر حزب « الدعوة » من التوجهات التي تحاول أن تتخذ من الدين غطاء لها . فيجب أن نكون حذرين لان معظم المسلمين ، أو معظمنا من مسلمين ومسيحيين ، نحمل عواطف اسلامية او دينية وعندنا طقوسنا ونحترم الجامع والحسينية والكنيسة .

فنلاحظ أن هذه القوى الان تحاول أن تجعل من هـذه الاجواء مناخا مناسبا للتأثير على الشباب الذين يحملون أفكاراً دينية والناس الطيبين المؤمنين بدينهم ووطنهم . وأبسط مثال على أساليبهم الرخيصة أنهم يرصدون مواطنا ويدرسون وضعه العائلي والديني وظروفه الشخصية ، ويعقدون معه اواصر الصداقة بحيث يصلون معه الى مرحلة

معينة يعطونه فيها أوراقا مكتوب عليها معلومات من كتاب ديني وبين السطور معلومات تتعلق بأدبيات وفكر حزب الدعوة ، مرة أو مرتين أو ثلاث مرات . ثم يعطونه تعليمات لها طابع حزب الدعوة . فعندما يستفسر الشخص هل أن هذه الوريقات تعبر عن الحزب . يقولون له نعم ، هي كذلك وهذا حزب . وعندما يريد أن ينسحب من هذا الحزب يقولون له : لمعلوماتك أنت حزبي من فترة أكثر من سنة أو سنتين ، وكافة الوريقات التي كنت تطلع عليها كلها هي عبارة عن أدبيات لحزب الدعوة وهي تدينك . فيشعر هذا الشخص بأنه قد وقع في الفخ المنصوب ويعيش في هذا الجو ولا يعرف ماذا يعمل .

والان اخذ قسم كبير من الناس يعترفون . حتى أن شخصا عسكريا كانوا يهددونه بكونه عسكريا وبعثيا وقالوا له بأنه أذا أخبر السلطة سيكون مصيره الاعدام . ألا أنه تحداهم وقال لهم سوف ترون كيف يكرمني الحزب . وفعلا جاء واخبر وكشف كل التنظيم . والآن كرمه السيد الرئيس وأعطاه رتبتين أعلى . فهذه هي الاساليب التي تستغل من خلالها عواطف الناس الطيبين والبسطاء . وتلك هي صورة بسيطة ونظرة سريعة عن التهديد الذي تتخذه الشعوبية الاعجمية الجديدة المنطلقة الان من ايران الخميني ، والتي لاتختلف الا في بعض الجزيئات والتفاصيل عن الشعوبية القديمة التي انطلقت تاريخيا من ايران الخراساني وزرادشت . وقد تم الان ضبط الكثير من الاسلحة والسموم والمتفجرات التي كانوا يخططون لتوزيعها فيما بينهم ليلقوا بها في المناسبات على البعثيين وعلى أجهزة الامن الداخلي والاجهزة الخاصة . وأن تلك السموم كانت كمية هائلة الغاية منها أن توضع في الوسائل التي يقدمونها في ٢٠ صفر حيث تنصب على الطريق حبوب ماء ومطاعم

صغيرة وشعبية للاكل كانوا يخططون لكي يضع كل واحد منهم كمية من هذه السموم في الوجبات التي تقدمها هذه المطاعم الشعبية . حتى أذا تسمم البشر الموجودون هناك قالوا أن البعثيين قد سمموا المسلمين، لانهم لايريدونهم أن يمارسوا هذه المناسبة العزيزة على قلب المسلمين بهدوء وسلام . وقد تم كشف قسم من هذه الاوكار في كربلاء . وكلها في النهاية كما ثبت تعمل بدفع من العناصر القيادية الايرانية كالاصفي وغيرهم من قادة حزب « الدعوة » .

٣ ـ الشيوعية :

التهديد الثالث هو الاحزاب الشيوعية أو الحزب الشيوعي العراقي داخل الساحة . وتبقى الاحزاب الشيوعية تشكل قوة متميزة في سياسة الدول الماركسية والكتلة الشرقية . وهي ورقة متميزة عن السياسة الامريكية في العالم . وتعتبر الاحزاب الشيوعية من العوامل التي تلعب دورا كبيرا في تهيئة الاجواء المناسبة وخلق الصراعات والفجوات التي يستفاد منها في حالات الازمات والشدائد . والاحزاب الشيوعية دورها معروف . وقد بدأت خطورتها تزداد وتصبح اكثر وضوحا . كما حدث مثلا في افغانستان . وتلاحظون أن الجيش السوفيتي الذي كان يقال عنه أنه جيش يدافع عن السلام العالمي يدافع عن الامم المظلومة والمنجزات الاشتراكية في العالم ، قد بدأ الان يتدخل في مصائر وشؤون الشعوب من خلال احزاب هزيلة تدعى الماركسية . وهذه عبارة عن حجة يتحجج بها الاتحاد السوفيتي . وتبقى الاحزاب الشيوعية ورقة مهمة في السياسة الخارجية والدولية . ولهذا لا نستغرب أذا قلنا أن الشيوعيين الان في صدد تطوير ورقة عمل للتعاون ضمن جبهة تحالف تكتيكي مع حزب « الدعوة » الرجعي الذي بقي ، طيلة فترة العمل السياسي في القطر

العراقي منذ عام ١٩٥٨ ولحد الان ، لم يتحالف مع حزب ماركسي • وقد أقتضت الضرورة الآن ، ضرورة التصدي المعادي للنهوض الثوري في القطر ، أن يتحالف الحزب الشيوعي مع حزب الدعوة • وقد وافق حزب الدعوة على هذا التحالف • ونلاحظ الان أن الشيوعية داخـل القطر العراقي ، وهذا دليل على ضعفها وأفلاسها ، لم تتوان عن التحالف مع أي عنصر رجعي • وقد بدأت تتحالف بالفعل في المنطقة الشمالية مع القيادة العميلة من جماعة مسعود البرزاني الذين أصبحت علاقاتـهم بالمخابرات الاسرائيلية والامريكية قضية بديهية ثابتة ومعروفة • وقد أصبحوا يتحالفون معها بكل رحابة صدر ، ويتحالفون أيضا مع المنشقين من التجمع العراقي الذي تدعمه سـوريا بدون حـرج • وهكذا كافة الاحزاب وكافة القوى التي تضررت مصالحها من المسـيرة الثورية في القطر العراقي • والحزب الشيوعي العراقي يمتلك خطط تكتيكية ذات مستوى جيد • ويجب على كل واحد ان يفهم كيف تعمل القوى المعادية لنا • وقد اصبحت الشيوعية الان من الناحية الايديولوجية اعجز من ان تستطيع أن تؤثر ولكنها تعوض عن الضعف الايديولوجي بالقوة التكتيكية والتنظيمية • ونلاحظ الخطر الشيوعي الآن ولا نستطيع أن نقدر خطورة هذا الحزب العميل ألا في الحالات غير الاعتيادية • لان مقياس تأثير هذه الاحزاب الشيوعية ، مهما كان وزنها الجماهيري أو حجمها العددي ، أو تهديدها للامن القطري أي الداخلي ، لايقاس بهذه المقاييس المألوفة• لان أي حساب لهذه التهديدات في ظرف اعتيادي وفي حالة من حالات السلم لا يعتبر تقديرا سليما أو دقيقا • لان التهديدات تؤخذ بأسـوأ الاحتمالات • وليس من الحكمة السياسـية أن نستسلم الى الدعـة والطمأنينه والثقة علـى اعتبار أن الحزب الشيوعي تنظيما لايمتلك في

المرحلة الراهنة قوة جماهيرية تؤثر بالقطر العراقي بأي شكل من الاشكال . ولاشك أن المرحلة الحالية هي أضعف مرحلة مر بها الحزب الشيوعي العراقي منذ أن تأسس ولحد الان . ولكن وجود الاحزاب الشيوعية في الاقطار العربية والعالم يمكن أن يوصف دائما بأنها تشبه الخلايا السرطانية الخبيثة فتركن الى السبات ، اذا كان الجسم صحيحا سليما قويا . ولكن ما ان يتعرض الى ضعف عابر أو خلل طارىء ، حتى نجدها تستيقظ وتتحرك وتنشط . فينبغي أن يحسب لها حساب مسبق في وقت مبكر . وكيف يمكن أن تغير في أساليبها في الاوقات الحرجة لتتفادى شدة الضربة وكيف تتكون وكيف تأخذ شكلا من أشكال التحرك المعادي غير المرئي وكيف يمكن احتمالا واردا أن تنقلب الى مرض خبيث وخطر مداهم في مرحلة لاحقة . قريبة أو بعيدة ، اذا سنحت الفرص وساعدت الظروف . وهذه هي التهديدات التي تتعلق بالشيوعيين .

٤ ـ **التكوين الذاتي للمجتمع العراقي :**

التهديد الرابع : هو التكوين السياسي والثقافي والاجتماعي للقطر العراقي . يوجد الان مخطط بسيط وتقريبي ويخضع الى كثير من الاضافات وكثير من النقاط . ويتألف الامن القومي من مجموعة عوامل معقدة ومتداخلة ، الواحد منها يكمل الاخر . وتوجد حلقات عديدة وأجزاء مختلفة تدخل في تكوينه . وكل جزء منها ينشطر الى حلقات أخرى أيضا . وأذا ما أردنا أن نشرح طبيعة أي مجتمع من المجتمعات يمكن أن نقول ان الامن القومي يضم الامن الانتاجي والامن المجتمعي (أي أمن المجتمع) والامن السياسي (أمن الوضع السياسي) والامن الاعلامي وعوامل أخرى ...

أ ــ الامن الانتاجي : هو الامن الاقتصادي والامن العسكري لان الدولة أذا ما أنتهجت سياسة ذات نظرة شمولية وفيها نوع من الاستقلالية لابد أن تكون لديها قدرة أنتاجية وامكانية أقتصادية • وماهي علاقة الامن الاقتصادي بالامن العسكري ؟ •• هناك علاقة وثيقة مثلا الان القطر العراقي في حالة حرب من الناحية الفعلية مع العدو الصهيوني • لان الامن القومي يتعرض الى التهديد ، ولا زال الكيان الصهيوني يحتل جزءا عزيزا وخطيرا من الوطن العربي • وتتوقع أن يدخل القطر العراقي في حرب مع العدو الصهيوني في اي وقت من الاوقات • فلايمكن أن تشتبك الدولة في أي نوع من الحروب أذا لم يكن هناك اقتصاد وطني وانتاج محلي يخدم هذه المعركة وبالاخص أذا أردناها أن تكون أستنزافية طويلة • وكلما كان المجتمع ذا مستوى انتاجي واقتصادي متطور كلما أمكنه أن يرفد القوات المسلحة باحتياجاتها ، ويلعب دورا اكبر في تعزيز الامن العسكري • والامن العسكري هو ليس أمن الوحدات العسكرية أو ليس أمن الشخص العسكري أي أمن الدبابة والمدفع بقدر ما هو أمن التكوين العام والقوة الفاعلة لهذا الجيش • أذا كان المجتمع ذا مستوى أقتصادي متطور بأمكانه أن يرفد الجيش بعناصر ذات مستوى ثقافي واجتماعي تستطيع أن تلعب دورها المطلوب على اكمل وجه بأستخدام الاسلحة المعقدة التي تعزز أمن القوات المسلحة • فلا يمكن للقوات المسلحة ان تلعب دورا في مجتمع مفكك أو في مجتمع ذا مستوى ثقافي متدني وأقتصادي ضعيف • لان الاسلحة التي تستخدمها الجيوش الان أصبحت معقدة تعتمد بالدرجة الاولى على حد معين من الثقافة العامة والخبرة العلمية • فأذا لم يكن هناك مجتمع ذا مستوى ثقافي راق ، أو أن خطط التنمية

لم تحقق مفعولها النوعي أيضا وليس المادي فقط ، وبالتالي لم تخلق مجتمعا متطورا قريبا من حاجة القوات المسلحة ، فمعنى هذا أن التطور النوعي المتخلف سوف ينعكس سلبا على الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، ومن ثم على الواقع العسكري •

لانه عندما تنشب الحرب فأنك لا تعرف كيف تكون حالات التنظيم بالنسبة الى مجابهتك للعدو الصهيوني • فعلى أقل تقدير أن قسما من مستلزمات الحرب للقوات المسلحة يكون قد وفرها الانتاج الوطني • فهناك اذن علاقة وطيدة بين الانتاج الاقتصادي أو الامن الاقتصادي والامن العسكري • لأن الامن العسكري في حالة الحرب يظهر في المرحلة الاولى • وتصبح الحالة العسكرية هي السائدة والعوامل الاخرى عبارة عن وسائل مساعدة وداعمة للجهد العسكري • فمن غير المعقول أن تجابه العدو بدون أن تمتلك الامكانية الاقتصادية للانتاج الوطني الذي يغطي الحد الادنى من أحتياجات القوات المسلحة التي تلعب دورا كبيرا في الامن الداخلي والخارجي في القطر العراقي وفي الامن القومي العربي الشامل •

ب ــ الامن المجتمعي : ويتعلق بوضع المجتمع • ومن المعروف ان كل مجتمع يتميز بوضع أجتماعي وثقافي ونفسي معين • وكلما كانت الثقافات متعددة ومتناحرة أو متضاربة أو مختلفة تشكل حالات أو حلقات وتخلق أوضاعا يمكن أن تستغل لتهديد الامن الداخلي • أو بعبارة أخرى ، أن وجود الثقافات أو تعددها هي بحد ذاتها حالة قد لا تهدد امن أي بلد من البلدان ، أذا كانت هذه الثقافات منسجمة مع بعضها تكمل أحدها الاخرى • فأذا تعمقنا في تفاصيل الثقافات ، فنرى أن كثيرا من العلماء يميلون الى الاعتقاد أن الثقافة الموجودة في المجتمع

البصري هي غير الثقافة الموجودة في المجتمع الموصلي ، مثلا ، وهكذا . لكن هذه الثقافات المتعددة ضمن المجتمع العراقي ، أذا ما وجدت الاطار العام ، فهي ليست تهديدا ، وأنما هي حالة صحية طبيعية قد تكون في مجتمع متقدم أو مجتمع متأخر من الجانب الثقافي . وهذا لايضر بحد ذاته . ولكن تعدد هذه الثقافات واستغلال اختلافاتها أستغلالا سلبيا باستعداء عناصرها على بعضها وتمزيق الروابط التي تجمعها وتوحدها هو الذي تعمل له المخططات الرجعية وتعقد عليه أمالا كبيرة . وتوجد في كل مجتمع كثير من التقاليد . وهناك وضع بدائي يضم مخلفات عشائرية وعائلية . وهناك الكثير من التقاليد التي تعتبر في مراحل معينة من الثغرات الموجودة في كل مجتمع من المجتمعات ، وتعود أليها وتستعين بها المخططات الامبريالية بين فترة واخرى . فيجب أن نكون أيضا مدركين أن لكل مجتمع جوانب من نقاط الضعف والقوة . ولا يوجد مجتمع لا تشوبه على الاطلاق شائبة من أمثال هذه الثغرات . ولكن تسخير هذه الثغرات تسخيرا مضادا واستغلالها استغلالا عدائيا ، هو الذي نتحدث عنه ونؤكد عليه . وينبغي أن نكون يقظين حذرين واعين من أي أتجاه يعبث بنقاط الضعف المذكورة الموجودة في المجتمع . ولا يوجد مجتمع في العالم متماسك مائة بالمائة مطلقا . ولكن المجتمعات التي تعاني من حالات من هذا النوع ركزت على جانب معين يتعلق بالجانب الوطني للانتماء المشترك . وسخرت كل هذه الثغرات ضمن الاطار العام الذي هو الاطار القومي وكادت أن نقضي على هذه الثغرات . أي أن أختلاف الافكار وتعدد الثقافات لا يكون خطرا او تهديد أذا صبت كلها في تيار مشترك من التعاون الواعي والولاء الواحد . او بعبارة اخرى ، ان ظاهرة التنوع والاختلاف لا تشكل تهديدا ولا تمثل خطرا ، اذا قامت على قاعدة الانسجام وحقيقة التوافق .

ج ـ الوضع النفسي : ـ تعتبر الحرب النفسية الان من الاسلحة الخطيرة التي تلعب دورا ملحوظا في حياة المجتمع في حالات الحرب والسلم • ففي حالات السلم هناك تخطيط للحرب النفسية ، وآخر في حالات الحرب • وقد يكون من اخطر اساليبها واشكالها ، وهذا ما تلاحظوه يوميا ، ما يتعلق بترويج ونقل الاشاعات والاخبار الملفقة والاذاعات والصحف المضادة والمعادية • وهذه كلها تخلق وضعا نفسيا قلقا متواترا لدى الشعب العراقي • قد ثبت أن للشعب العراقي وضعا نفسيا مكشوفا من هذه الناحية • لان الاشاعة تنتشر من البصرة الى الموصل خلال ثلاثة أيام ، ويتناقلونها متلهفين عليها ، ويضيفون اليها ويطورونها • هذا ايضا نوع من العوامل السلبية المساعدة للحرب النفسية •

د ـ الامن السياسي :

الامن القطري

الامن القومي

الامن الدولي

هناك علاقة وثيقة ، ولا يمكن أن نجد فواصل ، بين الامن القطري والامن القومي والامن الدولي • لان امن القطر العراقي يرتبط بالامن القومي بأعتباره جزءاً من الامة العربية • وما يحدث في الوطن العربي وما يهدد الامة العربية يهدد امن القطر العراقي تهديدا مباشرا • وقوة القطر العراقي وتأثير وفعل الثورة في العراق لعب ويلعب دورا حيويا في تعزيز الامن القومي للوطن العربي •

وليفرض أو ليتصور كل واحد منكم : ما هو حال الامة العربية لو ان حزب البعث العربي الاشتراكي غير موجود او لا يقود السلطة في القطر العراقي ؟ •• وكيف كان الوضع سيكون لو ان حزب البعث العربي الاشتراكي لايقود القطر العراقي مع حلول الخميني محل الشـاه في أيران ؟ •• وهل كان عبدالرحمن عارف يستطيع ان يقاوم تلك الاجواء الملتهبة والضغوط الرهيبة ؟ •• لو كان موجودا ، لما استطاع ان يقاوم أكثر من اربع او خمسة أيام • هذه أمثلة للتبسيط ولتقريب صورة الوضع الى أذهانكم • ان القطر العراقي يلعب دورا في تعزيز الوضـع للامن القومي • بل أنه يلعب دورا خطيرا • ونلاحظ ان ما يهدد أمن أي قطر عربي في الوطن العربي ، يهدد الامن القطري العراقي •

وعندما يقول السيد الرئيس ان العراق سوف يكون اول المتصدين لاي خطر يهدد للسعودية ، فهذا يعني الربط الحقيقي بين الامن القومي والامن القطري • لانه أذا تعرض أمن السعودية الى التهديد ، فأن الامن القومي يتهدد بكامله ويتهدد بالتالي الامن القطري في العراق • والان تتضح امامكم حقيقة الوضع وصورة الواقع ، حيث تلاحظون ان أي تهديد او تخلخل يحدث في الوطن العربي ينعكس انعكاسا فوريا ومباشرا على الامن الداخلي للقطر العراقي • وما قلناه الان عن العلاقة الوثيقة بين الامن القطري والامن القومي ، ليس الا مثالا واضحا وتعبيرا امينا عن التحركات الراهنة للقطر العراقي في الوطن العربي • أما علاقة الامـن القومي بالامن الدولي فهي علاقة وثيقة وواضحة • وسنستعرضهـا استعراضا سريعا من ناحية مواقف الدولتين الاعظم من الوطن العربي • وهناك نقاط التقاء وأوجه شبه لايختلف فيها الموقف السوفيتي عن الموقف الامريكي من الوطن العربي • وهي كما يلي :

لا يروق للقوتين الاعظم ان تتوحد الاقطار العربية ولو بالحد الادنى من وحدة الكلمة . وقد اثبتت التجارب المحسوسة والوقائع المشهودة ان الطرفين يفضلان ان لا تقوم وحدة عربية بين أي قطرين عربيين . ولا يحبذ الطرفان ان يكون هناك تعامل موحد للعرب مع القوتين الاعظم . وانما يحبذان ان تقيم كل دولة عربية علاقة على انفراد مع احداهما أو الاخرى . وتتوخى الدولتان الاعظم أن تبقى المنطقة العربية غير مستقرة ومشحونة بالقلاقل والفتن والصراعات القطرية والطائفية والاقليمية .

لان هذه الحالة من القلق وعدم الإستقرار تفيد في تحرك القوتين الاعظم بالتدخلات الدولية . فكلما كان الوضع في المنطقة اميل الى القلق وابعد عن الاستقرار ، كلما كان مجال تدخل الدولتين الاعظم في شؤون دولها أسهل وأوسع وأفضل . وبالعكس ، عندما يكون الوضع في المنطقة اعتياديا وطبيعيا ومستقرا ، يكون التدخل في شؤون الدول تدخلا حذرا ومحدودا . من هنا ، نلاحظ ان القوتين الاعظم تفضلان أن تبقى الامة العربية مجتمعا مستهلكا وليس منتجا ، ومرتبطا ارتباطا وثيقا بالرأسمالية او الشيوعية انتاجا وتوجها . لان الدولتين الاعظم لا تؤيد أقامة أي نوع من الصناعة الثقيلة . ولهذا تلاحظون ان الشعار الذي رفعه العراق في مؤتمر قمة بغداد عن الحد الادنى من وحدة الكلمة العربية ، كان قد جاء ردا حاسما على مخططات الدولتين الاعظم في المنطقة العربية من العالم . وفضلا عن ذلك ، فأن الدولتين الاعظم متفقتان على حماية أمن الكيان الصهيوني واستمرار وجوده العدواني . ويحتاج هذا الاستعراض الى المزيد من التفاصيل . والقياس مع الفارق . وكل جهة تنفرد وتتميز بسياستها الخاصة التي تختلف في وسائلها وادواتها عن الاخرى . ولكن

الوقت لا يتسع للاستطراد ولا يساعد على الاسهاب وسنوفيه حقه في دراسة ستنشر قريبا . ولان وجود الكيان الصهيوني في قلب الامة العربية يعني تهديدا دائما للوطن العربي كله ، يأتي الكيان الصهيوني في مقدمة التهديدات الخارجية للقطر العراقي . وهذه هي العلاقة بين الامن القطري والامن القومي والامن الدولي ، عرضناها بايجاز واختصار .

هـ ـ الامن الاعلامي

لقد أصبح الاعلام عصب الحياة في المجتمع ولا يمكن للافراد والامم ألا أن يتأثروا به . فالفرد في حياته اليومية يحتاج الى الاعلام في معظم شؤونه أبتداء من توفير قوت يومه وانتهاءا بقضاء سهرة يرفه بها عن نفسه ، وبعد أن تعددت المخترعات وتقدمت العلوم وتعقدت سبل الحياة أصبح من المتعذر على الفرد العادي متابعة وتفهم ما يجري في مختلف ميادين الحياة العامية والسياسية والاجتماعية وغيرها دون مساعدة وسائل الاعلام التي تقوم بالتوضيح وتبسيط المعلومات وعرضها بأسلوب سهل وبألفاظ بسيطة وكلما أزداد المجتمع تعقيدا بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي كلما أزدادت أهمية الاعلام وضرورته . أذن فالاعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت ، ومعنى ذلك أن الحقائق التي يبنى عليها الاعلام السليم يجب أن تكون معبرة تعبيرا صحيحا عن عقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها وأن يتولى العملية التربوية والتعبوية للجماهير بصورة توضح مبادىء الحزب والثورة .

أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد أوجد للامة العربية هويتها وحدد لها ملامح شخصيتها القومية ولا يمكن لاعلام امة من الامم أن

يمتلك عقول الناس أو يثير أهتماماتهم ما لم تتبلور هوية وشخصية تلك الامة لان أي نشاط أعلامي لامة لاتزال تتجاذبها التيارات المتناثرة يظل مشتتا ومتناثرا .

لذلك يتركز الامن الاعلامي على الدعاية الثورية التي هـي أداة الثورة وفي مهمة أشاعة سياسة الثورة ونهجها شعبيا بأتجاه متنام يشمل أوسع الشرائح الاجتماعية ويتطلب هذا تكوين فهم منظور عن الرأي العام وعن مستويات الجماهير الذهنية والنفسية والعاطفية ، وبطبيعة الحال أن التوجه الثوري نحو الجماهير ينطلق من أيمان راسخ بدورهـا في القيادة وكذلك في أيصال مظاهر النشاط الثوري وأشكال المكاسب الجماهيرية الى الجماهير ليس من خلال ادوات الدعاية والاعلام فقـط بل الى تطوير التخطيط الذي يؤدي بالجماهير الى المساهمة الفعالة في مجال الدعاية والاعلام . هذا على الصعيد الداخلي أما على الصعيـد الخارجي فيجب عليه مجابهة الدعاية المضادة والالتفاف عليها بصورة ذكية ، ويجب أن ندرك أن الدعاية الخارجية لا تسير بمعزل عن ارتباطها بالوضع الداخلي بصورة عامة ، وتجربتنا خير مثال ، فالعراق ونتيجـة لظروفه الحالية ولما حققه من السير أشواطا بعيدة في الطريق الاشتراكي ولمواقفه التي بدأت تشكل عنصرا حساسا ومؤثرا في السياسة العربيـة والدولية ، بدأ العراق يمثل واجهة يتلقى أثرها الصدمات من خـلال هجمات الحرب النفسية بأساليبها المختلفـة .. الدعايـة المضـادة .. الاشاعة الخ ...

ولكي نضمن الامن الاعلامي بصورة صحيحة يجب أن لا نصبح سوقا رائجة لكل ما ينشر ويذاع ويبث في الاقطار المعادية والامبريالية وذلك من (كتب ومجلات ، صحف ، افلام (افلام فديو)) هذا علاوة

على نشر الوعي الاعلامي وتعريف المواطن بالدعاية وأساليبها والاشاعة وعملية التأثيربها مع العناية بالاعلام الداخلي وخصوصا في المناطق المتاخمة للعدو والاعتناء بالاذاعات المحلية أو الصحافة المحلية لاننا لا يمكن أن نعتمد على الصحافة المركزية في توجيه كل الجماهير • وتبرز هذه الناحية في ظروف الحرب بصورة خاصة • وكذلك القضاء على الرواسب الثقافية والاجتماعية التي تعرقل التقدم والنمو وابراز الشخصية القومية بشكل دائم وبمختلف الاساليب •

و ـ الامن الاقليمي :

والتهديد الاخر للامن الداخلي يتعلق بالدول المجاورة • وقد ذكرنا في بداية الحديث ان التهديدات التي تتعرض للامن الداخلي لايمكن ان تؤخذ على نسق ثابت او نمط واحد بالتساوي • فنلاحظ في هذه الفترة القصيرة التي تتجاوز عشر سنوات ما حدث من تبادل للادوار بين هذه الدول المجاورة والعربية منها بالذات • ونلاحظ ان بعض الانظمة العربية لعب دورا حاولت أن تهدد فيه الامن الداخلي للقطر • وتعرفون دور أيران الشاه في دعم الجيب العميل • ومن المحتمل اليوم ان تأتي تهديدات الامن الداخلي ضمن مخطط دولي كبير من ايران •وهي الان تمتلك الكثير من الاوراق التي يمكن ان تهددنا بها • ومن الممكن ان يتحرك الجيب العميل الموجود في داخلها ضد العراق • ومن الممكن ان تستخدم مياه الفرات • ومن الممكن ان تستخدم خزانات المياه الموجودة لديها • وممكن استخدام الكثير من الوسائل التي تتحرك بها المخططات الدولية •

وهناك الخطر الصهيوني ، وقد يسأل البعض كيف يهدد الكيان الصهيوني الامن الداخلي ؟ أذا درسنا الوضع العراقي من الناحيتين الجغرافية والسياسية ، نلاحظ ان الدفاع عن الامن الداخلي للقطر العراقي من تهديدات العدو الصهيوني ، لا يكون في أبو غريب مثلا او في الحبانية ٠ وانما الدفاع عن الامن الداخلي للقطر العراقي من التهديد الصهيوني يكون في اغوار الاردن وفي مرتفعات الجولان ٠ لان الصحراء الموجودة بين القطر العراقي وسوريا والاردن ، على الرغم من بعد الشقة وطول المسافة ، لا تعتبر من الناحية العسكرية ومن الناحية الجغرافية السياسية ، من الموانع بقدر ما تعتبر من الجسور للوصول الى هدف اخر ٠ أي أن استخدام الصحراء لا يمكن ان يعتبر هدفا يستقر فيه العدو ويدافع عنه ويتمسك به ٠ وأنما لان الصحراء يمكن ان تستخدم باعتبارها ممرا موصلا الى الهدف الحيوي ٠ فأي رتل عسكري صهيوني معاد يخترق هذه الصحراء لا يمكن ان يتوقف عن الحركة الا في منطقة تهدد الحبانية اولا او مشارف مدينة بغداد ثانيا ٠ وقد أثبتت التجربة تاريخيا ، ان الرتل البريطاني المدرع في سنة ١٩٤١ قد تحرك من ناثانيا في الارض المحتلة وهدد الامن الداخلي للقطر العراقي في الحبانية ٠ وعليه لا يمكن ان تعتبر الصحراء حاجزا طبيعيا ٠ وتستخدم القوات المدرعة عادة في حروب الصحراء ٠ ويحتاج القتال في هذه الحالة الى تفوق جوي ساحق او نسبي على الاقل ، ينبغي ان تمتلكه الدولة التي تدخل حربا صحراوية من هذا النوع ٠ وألا فأنها لا يمكن ان تنشر قواتها في مثل هذه المنطقة ٠ واذا فعلت ، فأن قواتها تكون مكشوفة للضربات الجوية المعادية في أرض منبسطة مفتوحة ٠

وهناك ضغوطات دولية وحسابات معقدة تدخل في هذا الجانب

ولضيق الوقت نتوقف عند هذا الحد ، ونترك المجال فسيحا للاسئلة والاستفسارات التي نرجو ان تسلط الاضواء على المزيد من التفاصيل والحقائق .

الحوار

س١ – ويتعلق بطبيعة نشأة حزب الدعوة وتطوره :

ج – الواقع ان حزب الدعوة عندما تأسس على أثر ضرب المصالح الانكليزية في العراق . وعملت المخططات الرجعية الاستعمارية على ان يكون للاستعمار نوع من الركائز . فتأسس حزب الدعوة وكان في البداية يسمى (رجال المرجعية) . لان هذا الحزب أخذ عدة أغطية . ففي البداية حاول هذا الحزب أن يضم في صفوفه عددا من رجال الدين البارزين في النجف فحاول ان ينظم ابن محسن الحكيم ، محمد باقر الحكيم ، ومحمد باقر الصدر . وكتابا (فلسفتنا) و (أقتصادنا) هما بالفعل من تأليف المؤلف محمد باقر الصدر . الا انهما في حد ذاتهما من مواد وادبيات حزب الدعوه . بعد ان عرف الشيخ محسن الحكيم ان هذه الجماعة هي عبارة عن حزب موجه من ايران ، بدأ يتحرك لتعرية وفضح هذا الحزب . وفي المرحلة اللاحقة تحول هذا الحزب واخذ غطاء (الحزب الفاطمي) فالحزب الفاطمي في فترة من الفترات ليس في الحقيقة الا حزب الدعوة الاسلامي في مرحلة معينة . وكما تفضلت استاذ بالضبط . ان حزب الدعوة في الحقيقة اتخذ عدة اغطية . فأذا سمعتم سابقا ان هناك حزبا فاطميا فهو نفسه حزب « الدعوة » . الان سلط هذا السؤال الضوء على قسم من تاريخ هذا الحزب . وهذا الحزب بالذات مثلما تفضل الاستاذ وقال انه حزب شعوبي وحاقد على العروبة وعلى كل شيء أسمه قومي .

س٢ – ويتعلق بطبيعة العلاقة بين حزب الدعوة والحزب الشيوعي وعن الشعار المتفق عليه من قبل الطرفين ؟ .

ج – الحقيقة ان الشعار المتفق عليه بين حزب الدعوة والحزب الشيوعي هو وطن حر وشعب سعيد ، وان ادبيات حزب الدعوة تشير الى أنه لا اعتراض لديه على شعار وطن حر وشعب سعيد، وبما ان حزب الدعوة لا يعتني بالجانب القومي بل يسعى للقضاء على هذا الشعور فهو افضل حليف للشيوعيين في المرحلة الراهنة . لان شعارهم هو وطن حر وشعب سعيد وموافقين على هذه المقولة بل انهم يذهبون الى ابعد من هـذا . وان المصيبة انهم يفكرون في تحليلات خطرة . ففي تحليلهم ان النشاط الغربي استفحل في الوطن العربي وتفاقم في الدول الاسلامية ولا يمكن زعزعته او قلقلة هذا التواجد الا بفسح المجال للتواجد السوفيتي في المنطقة .

س٣ – عن بنية وتركيب حزب التحرير وعن نشاطاته في الوقت الحاضر ؟ .

ج – الحقيقة ان حزب التحرير في بداية تشكيله لم يعلن عـن مذهبيته أي كان يقبل في صفوفه شيعة وسنة وكل الشرائح المسلمـة الاخرى . ولكن حدثت انشقاقات في سنة ١٩٥٨ . والعناصر التي انشقت من حزب التحرير انضمت وقادت حزب الدعوة . وحزب التحرير عمل داخل القطر العـراقي تحت واجهات عديدة ، وبعد ان مات مؤسسه النبهاني . فهناك الان في العراق نشاط ولكنه غير بارز . حيث توجد لقاءات الاشخاص البارزين والمثقفين من حزب التحرير . ولكن الى حد الان لم يعبر هذا الحزب عن افكاره على شكل تنظيم .

س٤ ــ ويتعلق بالممارسات اليائسة التي يقوم بها الحزب الشيوعي في الخارج ؟ .

ج ــ بعد ان افلس الحزب الشيوعي في الداخل بدأ يستفيد من الدعم الاممي الذي تقدمه الاحزاب الشيوعية في الكتلة السوفيتية والى حد معين في فرنسا وبريطانيا وبقية الاحزاب الشيوعية فالحزب الشيوعي في الخارج يمتلك هذه المرونة للضغط على طلبتنا وفي تشويه سمعة القطر العراقي . ولكن التجربة التي اقدم عليها الحزب الشيوعي العراقي فيعملية بلغاريا اعطت مردودا سلبيا ونالت فشلا ذريعا . لان الموقف الحازم الذي اتخذه القطر العراقي أثبت ان هذا السلاح لا يفيد لا الكتلة السوفيتية ولا الاحزاب الشيوعية ولا حتى الحزب الشيوعي العراقي . يعني أنهم يمارسون علينا الضغوط في خارج القطر . ولكنهم فشلوا بالرغم من فقدان شهيد او شهيدين لنا في ساحة بلغاريا ، الا ان النتائج كانت عكسية وتعرضت بلغاريا بالذات الى الاذى والضرر وانعكست على العلاقات معها . وكان موقف بلغاريا ضعيفا للغاية ، انتهى الى نتيجة واضحة هي تراجعهم . الشيء الاخر سفر الشيوعيين . لحد الان نحن لم نجد في سجلات الامن العامة الا نادرا ما يمنع سفر شخص أي شيوعي من العراقيين . لانه ليس دائما يكون منع السفر قوة لنا . لان الهاربين الان من الحزب الشيوعي العراقي في المعسكر الاشتراكي يعانون من حالات نفسية وضغوط ومشاكل لا تطاق .

س٥ ــ مادة السؤال تتعلق بالسلوكيات التي يقوم بها الوافدون للعمل في العراق وعن تأثيرهم على الامن الداخلي ؟ .

ج ــ العراق هو الساحة المحررة للثورة العربية وأي مواطن ـبي يريد ان يعيش في هذا القطر فهو من الناحية العملية ليس عليه اية

مشكلة . وهذا حق قومي طبيعي . وهذه ممارسة تعبر عن افكار حزب البعث العربي الاشتراكي . اما أذا سألتني عن مشاكل الناس الوافدين الى القطر العراقي وهل انهم يشكلون تهديدا ؟ قد يشكلون تهديدا لكن هل هو مصدر عائق ؟ لا ... لا يمكن ان نعتبر كل الوافدين الى القطر العراقي انهم قادمون ليهددوا الامن الداخلي . ولكن نقلب المعادلة ونقول ان كل القادمين هم مواطنون بإمكانهم ان يعيشوا وان يساهموا في بناء التجربة الجديدة والقاعدة المحررة للامة العربية جمعاء . هذا هو الجواب على السؤال الاول . أما السؤال الثاني وهو : ما هي علاقة ضابط الامن بالجماهير ؟ هذه المسألة لها عدة عوامل هي :

١ ــ العامل التاريخي : أن هذه الاجهزة في فترة من فترات الحكم الوطني في العراق تدخلت لقمع الحركة الوطنية وألتزامها ألتزاما كليا للأنظمة الرجعية في تلك الفترة فحملت هذه الافكار في أحشائها هذا الانطباع الذي كان سائدا . أما الآن فهناك فرق بين :

الامن التقليدي والامن العقائدي :

وهناك فرق بين النظام التقليدي والنظام العقائدي . فالامن التقليدي هو الامن المرتبط بالنظام التقليدي أو النظام الرجعي العائلي المتخلف . ولكن الامن العقائدي يدافع عن المنجزات ومكتسبات الثورة ويتفاعل مع الجماهير يوميا . ويعتبر ان العمل خارج أطار الجماهير هو عمل غير موضوعي لان الاجهزة في السابق كانت تقصي الجماهير كانت تنسحب عن الجماهير كانت لا تعنيها مشاكل الجماهير فظهرت فجوة كبيرة بين الامن والجماهير اما الان فأن الحالة هي ليست كالسابق لكن ليس كل

المواطنين العراقيين على علم كامل بالتغيير الـــذي تحقق • ان الاجهزة الخاصة هي الان معظمها اذا لم تكن جميعها تضم بعثيين من الحزب •

لا يوجد ، بأعتباري مدير أمن مسؤول عن هذا الجهاز ، الان ضابط من ضباط الامن ممن له علاقة بالامن التقليدي السابق • فأن معظم ضباط الامن الموجودين حاليا في الجهاز ان لم يكونوا بعثيين فهم مخلصـــون ومستقلون •

الجانب الاخر هو ممارسات الاجهزة الخاصة: نحن ورثنا أجهزة خاصة تؤمن بالبيروقراطية وتؤمن بأنها متسلطة وتعتبر نفسها أنها حلقة ممتازة وأنها فوق الجميع ، وأنسحب هذا المفهوم الى حد معين حتى بعد أستلام الحزب للسلطة حيث لم يتمكن الحزب من معالجة هذا الموضوع جذريا • في المراحـــل الاولـــى مـــن الثـــورة • والشـــيء الاخـــر ان هـــذه الاجهزة في بداية الثورة تعرضت للضغوط من خلال التآمر الشديد على الثورة والتحديات والمجابهات الشرسة فلم تتسن لها الفرصة لكي تعتني بالجانب الثقافي وتطوير الجانب النوعي فبدأت بعض العناصر التي لا تفهم الا المجابهة الحادة والاساليب البعيدة عن التصرفات الامنية ، بدأت تعطي أنطباعات خاطئة ايضا للمواطنين • والمواطن أي مواطن كان عندما يتعرض الى أية ممارسة خاطئة من قبل الاجهزة الخاصة لا يناقش هذه الاخطاء بمنظار موضوعي ويقول بأن هذه الاجهزة هي امتداد للاجهزة السابقة • وبقيت هذه الحالة الى فترة ليست قصيرة بدأت هذه الاجهزة بعد ان ترسخت منجزات الثورة وتوسع امن الثورة كما توسعت الساحة الامنية بدأت هذه الاجهزة تنتبه الى حالة تطوير جهازها وتفسح المجال للشهادات وللناس المثقفين ان يدخلوا وبدأت تفتح الدورات وتطور الجانب العلمي والتكنولوجي ••• الخ • واقيمت ندوات ولقاءات ومحاضرات بينها وبين

المنظمات الحزبية ولعبت دورا الى حد كبير بحيث ذوبت معظم هذه الحساسيات البسيطة • ولكن لا يعني هذا أننا ندافع عن كافة اخطاء اجهزتنا • قسم من الاخطاء لها ما يبررها وقسم اخر عبارة عن جهل • وهذا يرجع الى ان قسماً من الاجهزة في فترة لم يدخلها مستوى علمي حيث ان المستويات العلمية التي تدخلها كانت مستويات محدودة •

الاجهزة الخاصة لا تمتلك الا المبادرة والتوجيهات المرنة • وكل واحد يبادر ضمن عقليته وضمن تفكيره • وهذه ايضا تخضع للمستوى العلمي ولكن كثيراً من الاخطاء هي من وجهة نظر المواطنين خطأ لكنها من وجهة نظر الاجهزة الخاصة ان هـذا يجب ان يكون لان مواطننا غير موضوعي حيث أنهم أذا شاهد شخصا من الاجهزة الخاصة راكبا سيارة واهمل اشارة المرور وتجاوزها يقلب الدنيا لكنه لا يعرف ان هذا الشخص يقوم بتعقيب هدف واذا أفلت منه هذا الهدف فأنه سيتحاسب • وكل الشعوب وكل البلدان المتقدمة تهتم بها وتعتبر الاجهزة الخاصة هي المعبرة عن امنها • لو جئنا الان الى مناقشة مسألة امن :

كلمة امن كلمة بسيطة • ولكنها شيء خطير تصور حالك وانت جالس في بيتك وتملك اموال الدنيا ولكن امنك الشخصي والعائلي مهدد بخطر تشعر بأن الدنيا كلها لا تساوي عقب السيكارة • اذن دور الاجهزة الامنية هو دور خطير ولكن المواطن العراقي لا يشعر بأهمية الاجهزة الامنية الا بعد أن يتعرض أمنه الشخصي للخطر • وهذه علاقة معقدة وطويلة وممكن ايضا ان نتحدث عنها ولدينا فيها الكثير من المحاضرات واللقاءات في مدرسة الاعداد الحزبي • والان هناك كثير من اللقاءات والتفاهم بين الجماهير والاجهزة الخاصة• اما فيما يتعلق بالسؤال الثالث الذي تفضلت به عن التخريب الاقتصادي بطبيعة الحال نحن في مرحلة من

المراحل اعتبرنا التحرر او الثورة السياسية هي التي تتقدم كل الشعارات الباقيةوالان بعد أن توطد الوضع السياسي فيجب أن يأتي دور للعامل الاقتصادي • العامل الاقتصادي هـو الذي يكمل الاستقلال السياسي وهناك حالات معينـة في ظرف من الظروف يأتي العامل الاقتصادي في وقت اخر يأتي العامل السياسي ولكن الانفيما يتعلق بالقطر العراقي بما أن المسائل السياسية قد أستكملت ابعادها الى حد معين أصبح العامل الاقتصادي خطيرا أي خلق وجعل حماية خطة التنمية القومية فأي عرقلة لتوجهات من هذا النوع تهدد الامن الاقتصـادي واعني ان تخريب توجهات المواطن العراقي الى الانتـاج العراقي الوطني هو تخريب ذو طابع اقتصادي ، التشكيك في البضاعة الوطنية المنتجة عراقيا يعد أيضا تخريبا اقتصاديا ، المقارنات غير الموضوعية بين البضاعة الوطنية والبضاعة الاجنبية أيضا تخريب اقتصادي ، التشكيك في قدرات الانتاج الوطني لدعم المعركة ضد العدو الصهيوني هو أيضا تخريب اقتصادي، تخريب المصانع الكبير يهددالامن الاقتصـادي والى غير ذلك من المسائل التي تتعلق بالامن الاقتصادي •

س٦ ـ ويتعلق بالممارسات الطائفية وكيف تتم مجابهتها ؟

ج ـ صحيح ان الطائفية لا تجابه بأسلوب طائفي لكن هناك في تقديرك ممارسات تعتبر ذات طابع طائفي الضد او تؤدي بالنتيجة الى تفسير طائفي •

لا يوجد شيء من الطقوس الدينية ممنوع أطلاقا • وكما لاحظتم فأن كل المواكب في كل المحافظات مارست طقوسها بشكل اعتيادي وحاليا من المعتمد ان كل المواكب ستمارس طقوسها في ٢٠ صفر بأستثناء شيء واحد هو التطبير والتشبيه •

وبعكسه فكل الممارسات مورست في ١٠ محرم ستمارس في ٢٠ صفر • وهذا توجيه مركزي من القيادة • وحتى السيطرات الموجودة في مداخل المحافظات صدر امر من القيادة ان ترفع تلك السيطرات وتكون الممارسات اعتيادية ولا يوجد الان أي توجيه لحصر او تقليل هـذه الممارسات •

واذاكنتم سمعتم بتوجيه من هذا النوع • فأني مسؤول عنه • و تتحدث لكم بشكل دقيق ولا يوجد أي توجيه لكن الحرب النفسية والاجواء التي تشاع داخل المجتمع الان تساهم الى حد كبير في نشر هذا الزعم الواهم القائل ان العراق لا يسمح بممارسة الطقوس الدينية • وان السبب في مشكلتنا هو ليس ممارسة الطقوس الدينية وان الخطورة في ممارسة دينية او ممارسة خاطئة هي ان معظم الذين يمارسون هـذه الممارسات يفهمون جيدا أنها خاطئة ولكن يستهدفون من ذلك جرنا الى موقف مضاد بشكل خاطىء حتى يتجسم الخطأ وتحدث المشاكل التي يطمحون أليها • وعليه يحدث علينا ضغط من توجيه ديني علينا ان لا نسلك خطأ الاندفاع الى ممارسة الطقوس الدينية بشكل غير متوازن بالوقت الذي واجبنا كرفاق حزبيين تجاه ظاهرة الطقوس الدينية (كل واحد منا يمارس هذه الطقوس) أن ننظم أو نرسم للمواطن العراقي الصورة الواضحة لتأدية هذه الطقوس لان الكثير من الطقوس تؤدى بشكل منحرف او بشكل ضار او بشكل متخلف ، ولكن اذا ما دخلت القضية الدينية بالسياسات اعتبروا ان هذا المجتمع تعرض مصيره ومستقبله الى وبال جسيم وخطر عظيم • وهذا هو المخطط الوحيد الذي

تحدثنا عنه وهو ان يختلط العامل الديني بالعامل السياسي وعندها تتداخل الخنادق واذا رجعتم الى كراس (نظرة في الدين والتراث) فأنكم ستجدون ان هذه الظاهرة واضحة وان السيد الرئيس يوليها اهتماما فائقا ويعرضها عرضا دقيقا ٠

س٧ – عن العلاقة بين الحركة الشيوعية وحزب الدعوة حيث ان هذه العلاقة تشكل ادانة للشيوعيين في العراق ؟ ٠

ج – من الناحية الاعلامية لا يحدث أي حدث بالعراق الا ونشر عنه فأذا بقينا متكتمين ولم ننشر عن ذلك الحدث فمعنى هذا أننا فسحنا المجال امام القوة المضادة والاعلام المضاد ان يكتب ما يشاء عن هذا الحديث ٠ وتلاحظون ان الحادث الذي وقع في كربلاء وراح ضحيته شهيد من حزب البعث العربي الاشتراكي نشر في الصحف العراقية ويأتي نشره ضمن هذا التصور ولكن هناك مسائل تتعلق بالامن الداخلي وبالحسابات الامنية لكن التوجه مع نشر وطبع هذه العلاقات سواء عن علاقة الاحزاب الرجعية بالشيوعيين او عن علاقة الشيوعيين بالمخططات الدولية ٠ ولكن فيما يتعلق بالشيوعية فأنها لا تهتم اذا وصفت بأوصاف معينة لانها تلعب دورا كبيرا ٠ ولكنهم مقتنعون بهذا الدور ومطيعون٠ والمثل يقول (ان الشيوعي في العراق اذا امطرت الدنيا في موسكو فأنه يرفع مظلة المطر والشمس مشرقة) ٠

فتأمل !

الفصل السادس

تهديدات الأمن القومي(*)

المقدمة

أيها الاخوة • السيد المحافظ • الرفاق أعضاء الفرع • السادة الحضور الكرام • يشرفني ويسعدني حقا أن ألبي الدعوة الكريمة التي تفضل بتوجيهها لي مشكورا السيد قحطان الناصري عميد كلية الآداب • ولم أستطع فعلا أن أعتذر عن تلبيتها أنطلاقا من شعوري بأهمية اللقاء بين الأمن وبين الجامعة ، ولا سيما في هذه الفترة التي تتسم بالحاجة القصوى الى ألتقاء افكارنا في مصبات متقاربة تحقق الخدمة المطلوبة للامن الاجتماعي في القطر العراقي والأمن القومي للوطن العربي • ومن هذا المنطلق قررت أن أحضر وألبي هذه الدعوة بالرغم من ضيق المجال وضغط العمل • ونأمل أن تتحدث في هذه المحاضرة بأختصار شديد عن الأمور التي تتعلق بأمن المجتمع العراقي ، وسبل التعاون على خلق أمن مجتمعي يساهم مساهمة أيجابية في تعزيز الخطوات الثورية التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي • الواقع ، لازلت أعتقد أن اللقاء مع الجامعة يفرض نفسه وينبغي أن يتم بأستمرار ، لان الجامعة تضم

(*) محاضرة القيت بتاريخ ١٩٨٠/٣/٢٣ في الموسم الثقافي الذي أقامته كلية الآداب بجامعة البصرة .

شطرا مهما من المجتمع العراقي يتحمل مسؤولية وطنية وقومية وتربوية في الحاضر والمستقبل • ومن هذا المنطلق ، هناك ضرورة ملحة للالتقاء بالوسط الاكاديمي ، وتبادل الرأي في المشاكل التي نواجهها وما يعانيه مجتمعنا من ظواهر وثغرات قد تستغل لصالح الاجنبي •

الأمن القطري والقومي والاقليمي والدولي :

ويعتبر من أخطر مشاغل الدول على اختلاف أنظمتها وايديولوجياتها ومن الواضح أن كافة الدول لديها مفاهيم خاصة عن أمنها القومي وتدرك هذه الأمم والشعوب نقاط القوة والضعف في أمنها القومي والوسائل التي تعتمدها اذا تعرض أمنها القومي الى التهديد • ومن هنا ، تقتضي المصلحة العامة أن نقوم بتقديم فكرة ولو عامة ومبسطة الى جماهيرنا عن المعنى المقصود من الامن القومي ، والعلاقة بين الأمن القطري والامن القومي وبين الامن الدولي أو الامن السياسي ، وطبيعة التهديدات التي يتعرض لها الامن المجتمعي أو أمن المجتمع العراقي ، والفجوات اوالظواهر التي تستغلها الدوائر الامبريالية والمخططات الاجنبية في التسلل أو الاختراق او التخريب •

والحقيقة هي أن هناك علاقة وثيقة بين الامن القطري والامن القومي والامن الدولي • فأذا كان الامن القطري أمنا راسخا وقويا ، أنعكس هذا الوضع أيجابا على الامن القومي أو أمن الوطن العربي ككل أذا تحركت الدولة تحركا قوميا فاعلا في التصدي للمشاكل التي يواجهها المجتمع العربي • ومن المؤكد ان الدور القومي الذي يلعبه العراق في الوطن العربي وعلى الصعيد الدولي يعتمد على قاعدة أمنية داخلية راسخة ، ينطلق منها ويتدعم بها • وبالعكس ، أذا كان الوضع الداخلي مهزوزا

يتسم بالتمزق الاجتماعي والاضطراب السياسي ، فأن القطر يتعرض حينذاك الى الاستنزاف والانهاك او يكون بالتالي تأثيره ضعيفا عربيا ودوليا • ونأتي الان الى الوضع الدولي وعلاقته بالامن القومي • كلما كان الوضع القومي للوطن العربي مضطربا ، كلما أمكن للدول الاجنبية ان تستغل هذا الخلل للتدخل في شؤون الوطن العربي من الخارج تدخلا أوسع وأكثف • وفي أحيان كثيرة ، نرى ان الدول الاجنبية تقوم بتحريك بعض الفئات المحلية تحريكا يؤدي الى تسخين الاوضاع الداخلية ، ثم تتخذ من الاحداث والاضطرابات سببا يبرر تدخلاتها • وتتناسب فرص التدخلات الاجنبية تناسبا طرديا مع اشتداد الاضطرابات الداخلية •

وفي ضوء ما تقدم ، نفهم ونفسر الاضطرابات المختلفة التي تعم الشرق الاوسط والخليج العربي حاليا ، كما في سوريا ومصر وسواهما ، مثلا • وهي لعبة دولية قد وزعت الادوار على الاطراف المعنية • وغايتها تحويل الوطن العربي الى ساحة فائرة ساخنة مكشوفة للمخططات والتدخلات والتحركات الاجنبية المستمرة • وتلك هي المناورة الدولية التي لاتريد ان تترك الوطن العربي ينعم بالهدوء والاستقرار في يوم من الايام • وتشترك الدولتان الاعظم في موقف من هذا النوع في مواجهة الوطن العربي • ومن الخطأ أن يظن أحد أن مثل هذا الموقف قد احتكرته دولة واحدة كبرى معينة بالذات • لانهما معا قد اتفقتا ، بقدر أو آخر مع اختلاف وتباين المصالح والصيغ ، على تكريس التجزئة العربية ، أو تعطيل ليس الوحدة العربية الشاملة فقط بل حتى وحدة الحد الادنى ، والسعي للابقاء على الوطن العربي مجتمعا استهلاكيا والقضاء على استقلاله الاقتصادي وربطه ربطا وثيقا بالدول الكبرى • تلك هي الغايات الاستراتيجية التي لا تختلف عليها الدولتان الاعظم الا بقدر ما تختلف

تفاصيل ومفردات مصالحهما الذاتية • وتعتبر استراتيجية وحدة الحد الادنى التي طرحها ووضحها العراق في مؤتمر قمة بغداد ، بمثابة الـرد المتيسر والممكن والعملي والواقعي على المخطط الدولي والتحـدي الاجنبي المذكور في أعلاه • وقد جاء الاعلان القومي بأعتباره خطـوة متطورة ونقلة نوعية للاستراتيجية التي انتهجها العراق كما تقدم • ومـن هنا ، أتيحت للامة العربية من الامكانيات المضافة ما أدى الى توفـير الردود الملائمة على تلك التحديات الدولية الرهيبة والمطامع الاجنبيـة المتصارعـة •

وسائل وأساليب التهديد

عمدت الدول الكبرى الى استثمار التهديدات التقليدية في المنطقة العربية من العالم • ولكن المخططات والصيغ الاجنبية الدولية قد لجأت أحيانا وحسب المتغيرات والظروف الى أستخدام وسائل غـير مألوفـة وأساليب غير تقليدية في تهديد أمن القطر العراقي • ويمكن تلخيص وسائل التهديد كما يلي

١ ـ القضيـة الكرديـة

وهي وسيلة قديمة • وتثيرها الاطراف الاجنبية والدولية المعنية بين فترة وأخرى بوجوه وتوقيتات مختلفة بأختلاف ظروف القطـر العراقي والوطن العربي • وبالرغم من أن القطر العراقي قد قطع شوطا كبيرا ومثاليا في حل القضية الكردية حلا ديمقراطيا ثوريا واعترف للاكراد بحق ممارسة الحكم الذاتي ، الا ان قضية الجيب العميل لاتزال ورقة ضاغطة تحركها القوى الدولية بين فترة واخرى وحسب المخططات التي طرحتها في الساحة •

٢ ـ النزعة الطائفية والظاهرة الدينية

ويعتبر تأجيج النزعة الطائفية واستغلال الظاهرة الدينية ، الان ، من الاوراق الضاغطة المهمة التي تلعبها القوى الامبريالية وتعلق عليها اعرض الامال واقوى التوقعات . لأن تلك القوى استخدمت كافة الاوراق الممكنة والمحتملة والمتاحة الى حد الان . ولاحظت ان تلك الاوراق لم تحقق ربحا مضمونا ولا نفعا دائما . لم تبق ورقة جديدة مضافة تستطيع ان تلعبها في الظروف الراهنة الا ورقة الطائفية . فأرادت ان تجرب حظها في طرحها واستخدامها . ومن الواضح ان الطائفية تعتبر فعلا تهديدا خطيرا للامن الداخلي في القطر العراقي وللامن القومي في الوطن العربي . ومن هذا المنطلق ، نشعر ان الواجب يدعونا ان نتحدث بنوع من الصراحة ولا سيما مع امثال حضراتكم من المثقفين . لان الحديث في الوسط الاكاديمي ينطوي على شيء كثير من المسؤولية الشاملة التي تضمنا جميعا . وبالاخص ان الوسط الاكاديمي يتحمل شطرا بارزا من المسؤولية في مواجهة مثل هذه الظاهرة . وينبغي ان يلعب دوره في كشف نوايا العناصر التي تعمل على تأجيج الفتنة الطائفية او تحاول ان تستغلها بغطاء ديني زورا وبهتانا . ومن الملاحظ ان هذه الورقة ليست جديدة ، ولا يتم استثمارها الان للمرة الاولى ، في القطر العراقي . بل انها ورقة قديمة سبق وان طرحت باشكال متعددة في اوقات مختلفة . فاذا اراد احد ان يغوص الى الاعماق الغائرة ، او ان يصل الى الجذور البعيدة ، في هذا الموضوع ، فينبغي ان نجيب عن جمله من الاسئلة كما يلي : كيف عوملت الطائفية قبل ثورة الحزب في سنة ٩٦٨ وكيف عوملت بعدها ؟ أي الحلول والمعالجات التي اعطيت لها وجوبهت بها في المراحل المختلفة والمتعاقبة؟ ماذا كانت ردود الفعل على تلك الحلول والمعالجات ؟ وما هو الدور الـذي

لعبه الاستعمار في تأجيجها واستغلالها ؟ وما هي العلاقة او المعادلة التي ربطت بين الاتجاهات الفكرية والاقليات المحلية وبين الطائفية ؟ كيف قامت تلك الاتجاهات المحلية باستغلال الظاهرة الدينية واتخذتها دخانا للتمويه او ثوبا للخداع في تمرير طروحاتها ومؤامراتها ؟ تلك هي الاسئلة المطروحة عليكم ، ايها الاخوة المثقفون • ويستطيع كل واحد منكم ان يصل الى الاجوبة الصحيحة بعد ان يطلع على مفردات وتفاصيل تاريخ هذه الورقة • ليس عيبا ان يتألف المجتمع العراقي من سنة وشيعة • وليس عيبا ان يضم عربا واكراد • ولا يوجد مجتمع مثالي متماسك ومتجانس ١٠٠٪ في العالم يمتاز بخلوه من الطوائف والاقليات والاديان • ومن الضروري ، في هذا الصدد ، ان نفهم فهما واضحا الموقف الذي اتخذه حزب البعث العربي الاشتراكي من الظاهرة الطائفية بوجه خاص ، ومن الاديان السماوية بوجه عام ، تجنبا من الوقوع في اخطاء والتباسات قد تؤدي الى تعريضنا وامتنا الى اضرار فادحة وانحرافات خطيرة • والحقيقة هي ان حزب البعث العربي الاشتراكي يعتز بالشيعة والسنة من المواطنين في وقت واحد وعلى حد سواء • لأن الحزب لايقف مع الشيعة ضد السنة ، ولا مع السنة ضد الشيعة ، وانما يقف مع كافة المواطنين من هاتين الطائفتين معا باعتبارهم من ابناء المجتمع العراقي ، ويعتز بهم جميعا دون تفريق ولا تمييز ولا استثناء ، ويحترم شعائرهم ومعتقداتهم وطقوسهم في نطاق الاسلام الحقيقي الشامل الذي يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يمزق او يفتت • وينطلق حزب البعث العربي الاشتراكي في هذا الموقف من التقدير العملي التالي : « كانت هناك افكار محلية طائفية في يوم من الايام جرى توظيفها ضد مصلحة الوطن • وقد حان الوقت الذي يجب فيه ان يجري توظيف هذه الامكانيات والافكار بحيث تصب جميعها في مصلحة الوطن » •

ويقينا ان هذا هو الاتجاه الصحيح الوحيد ، ولا يمكن أن يكون سواه ، الذي يحقق المصلحة الوطنية والقومية العليا للمجتمع العراقي والوطن العربي معا • ولعل وقوفي متحدثا أمامكم هنا الآن في مدينة البصرة الفيحاء ، جوهرة الخليج العربي ، يعيد الى الذاكرة ما لعبته مدارس الامريكان من أدوار مسيئة وسلبية في عهود غابرة ، وروابطها المشبوهة مع المؤسسات التبشيرية الاميركية الاخرى مثل جامعة الحكمة في بغداد وكلية بغداد والجامعة الامريكية في بيروت ومثيلاتها في القاهرة• فضلا عن مؤسسات تعليمية اخرى ذات توجهات طائفية ضيقة متخلفة اجتماعيا ومعادية سياسيا •

وقد تولت تلك المعاهد والمؤسسات المريبة وظيفة أو مهمة تكريس وتشجيع واستغلال الاتجاهات الطائفية والنزعات المحلية ، في عصر تاريخي قريب اتسم بضعف الحكم المركزي والاتجاه القومي •واذا عكف باحث على دراسة هذه الاتجاهات ، فسيجد ان هذه النزعات المحلية المتسترة بغلالة الدين ، لم تنشط وتزدهر الا في حالات وظروف من شأنها اضعاف او تحجيم الحكم المركزي والاتجاه القومي • ومن الملاحظ ان هذه المدارس قد تركزت بوجه خاص في القطر العراقي ، وحاولت ان تنخر في جسم المجتمع العراقي • وقد ساهمت كل الدول الكبرى بدون أستثناء في هذه العملية ، ولكن بوسائل متعددة ودرجات مختلفة • ومن الظواهر المثيرة للاهتمام والملفتة للنظر ، ان معظم زعماء الاحزاب الشيوعية وكوادرها القيادية ينتمون الى هذه الطوائف والاقليات والعناصر المتعاطفة مع الافكار المحلية ، والمناوئة للاتجاه الوطني والقومي ، والممتنعة عن الولاء للوطن ، والمنساقة الى الارتباط بجهات اجنبية او معادية في الخارج •واذا كان الحذر يقي القدر ، فمن الضروري ان يكون الشباب

الوطني والمثقف واعيا هذه الحقائق التي ستحميه من الانسياق والانزلاق والوقوع في براثن اطراف معادية تهدد امن العراق تهديدا خطيرا • وتتضاعف ابعاد ونتائج هذا التهديد ، في ضوء الدور البارز الذي يلعبه العراق الان دفاعا عن الامن القومي العربي الشامل •

٣ ـ الاحزاب الشيوعية

وقد نشأت هذه الاحزاب وترعرعت ونشطت أيضا في مثل هذه الظروف والاجواء والمناخات التي أشرنا لها وتحدثنا عنها كما تقدم وقد حرص الحزب الشيوعي العراقي، مثلا، حرصا مستمرا على أختيار كوادره القيادية والمتقدمة من المنتمين الى تلك الإقليات • ويعود السبب الى وجود لغة نفسية متماثلة وأرضية فكرية مشتركة للتفاهم بينها وبين الاقليات والطوائف المذكورة • وفي ضوء استقراء القرائن وتحليل الوقائع ، يبدو ان هناك تبادلا تلقائيا عفويا ، حسب اختلاف الظروف والمصالح ، للادوار في استغلال أو تفجير قضية القوميات والافكار المحلية بين أمريكا والسوفيت في العراق •

وقد ثبت من السوابق والتجارب ، ان الحزب الشيوعي العراقي نفسه لا يتورع ، ولم يتورع ، عن تفجير واستغلال المشكلات العنصرية والطائفية ، كما يحدث الان فعلا في المنطقة الشمالية مثلا • وفي ضوء ما تقدم ، يبدو ان هناك لغة مشتركة بين التوجه التاريخي للحزب الشيوعي العراقي ، في هذا الصدد ، وبين التوجه الدولي المذكور في أعلاه للقوتين الاعظم •

ومن هنا ، نستطيع ان نقرر جزما ان الاحزاب الشيوعية تهدد الامن القومي الشامل للوطن العربي كله تهديدا خطيرا • وبعد التدخل

السوفيتي في افغانستان ، انكشفت حقيقة الادوار التي تلعبها الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي والعالم اجمع .

الامن المجتمعي

نعتقد اعتقادا مدروسا ، مشتقا من شواهد الواقع وقرائن العلم معا ، ان الوضع الاقتصادي والاجتماعي والتكوين الثقافي هي من العوامل المضافة والمهمة التي تلعب دورا بارزا في تلاحم المجتمع وتماسك بنيانه الامني . لان القطر مطالب الان بأن يتحصن امنيا من خلال تحليل عملي وفهم دقيق للواقع الراهن في المجتمع العراقي ، ودوره المباشر في العمل الوطني اولا ، ودوره القومي في الوطن العربي ثانيا .

ومن هنا ، ينبغي أن نفهم معنى الامن الاجتماعي، وكيف يستطيع ان يتحصن أمنيا ، لكي لايبقى عبئا كبيرا وحملا ثقيلا على الاجهزة الامنية . لان المجتمع اذا استقر وتحصن امنيا ، فأنه يكون قد ساعد الاجهزة الامنية على القيام بواجباتها الحيوية الاخرى ، بتوفير الوقت الفائض والجهد المضاف .

ويتعلق ما تقدم ، بالتخطيط المسبق والاستعداد المبكر والاستقراء الدقيق والاحتياط الفعلي للاحداث غير المنظورة والاحتمالات غير المشهودة والعوامل غير المرئية والظواهر والاتجاهات والمواقف المتوقعة والممكنة والجديدة . ومن الضرورات الامنية ان يتحصن المجتمع العراقي من الافكار الطائفية والمحلية والرجعية ، وان يدخل في مواجهة مخططة ومدروسة وناجحة مع ظاهرة تعدد الثقافات وتنوع الانماط والتصدي للتحريض على تناحرها ، او منع استغلال تناحرها بالفعل ، والعمل على توحيدها في الخدمة المتعاونة المشتركة للوطن بالرغم من تعددها وتنوعها

واختلافها . وتلك هي الحاجة الملحة التي دفعتني الى الالتقاء بكم والتحدث لكم في هذه المحاضرة . وكانت الغاية الاساسية التي توخيتها هي :

كيف يمكن ان تتحصن من الناحية الامنية على الاصعدة والمستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ؟ والناحية الامنية هي عملية معقدة وشائكة ومتداخلة . لان العوامل والظواهر والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نفسها هي أجزاء من كل واحد متداخل متكامل وشرائح من وضع مشترك معقد مركب . فلا يجوز ان تتصورها او نعاملها بأعتبارها ظاهرات منفصلة منعزلة عن بعضها ، او باعتبارها حقائق ثابتة جامدة . ومن هنا ، وفي ضوء ما تقدم ، نلاحظ الصعوبة القصوى التي تكتنف العملية الامنية من هذه الناحية ، والحاجة الى التحليل العلمي والفهم الدقيق والتخطيط المدروس والاستعداد المسبق .

التدخل السوفيتي والخليج العربي

يعتبر العراق دولة خليجية . والبصرة ثغره المطل على الخليج العربي، والخليج العربي منطقة ملتهبة الان ومستهدفة دوليا حاليا. ثم ان البصرة تجاور ايران وتقع على مقربة من تحركات عسكرية شرسة ومحمومة وأحداث سياسية مشحونة بالاخطار والتهديدات . لابد ان نستعرض تأثيرات التدخل السوفيتي في أفغانستان على منطقة الخليج العربي، ولو استعراضاً سريعا وبسيطا . وانطلاقا من التصور او المفهوم الذي حددناه وذكرناه في اول المحاضرة عن العلاقة الوثيقة بين الامن الدولي والامن القومي والامن القطري ، سنرسم الان صورة سريعة وبسيطة عن الاحداث التي وقعت مؤخرا وتقع الان في الساحات والمناطق الاقليمية المجاورة والقريبة التي تبدو ظاهريا بأنها خارج الوطن العربي ، ولكننا نرى في الحقيقة انها

تستهدف الوطن العربي • وقبل ان نتحدث عن أصداء وانعكاسات التدخل السوفيتي في أفغانستان ، نود ان نقرر الحقيقة الثابتة التالية ، وهي : ان الاتحاد السوفيتي بتدخله السافر المباشر في افغانستان ، قد اثبت بما لا يقبل الشك بأنه دولة كبرى لاتتردد في التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وحسم المشاكل الداخلية التي تعانيها تلك الدول حسما عسكريا صارخا ، تحقيقا للمصالح الذاتية التي يتوخاها السوفيت دون النظر الى الاعتبارات الايديولوجية والاخلاقية المعلنة والمصالح المشروعة والعادلة للدول المستقلة والاطراف المعنية وحقوقها المطلقة في السيادة والكرامة والحرية •

فما هو دور الحزب الشيوعي في هذه العملية ؟ وما هو تأثير التدخل السوفيتي في أفغانستان على دول العالم الثالث ودو لعدم الانحياز وبوجه أخص الوطن العربي ؟ الى فترة ليست بعيدة ، نلاحظ أن دول العالم الثالث كانت تنظر الى الاتحاد السوفيتي بأنه المعسكر الوحيد الذي يدعم الحركات التحررية والثورية في العالم الثالث بوجه خاص ، ويحترم دول الحياد الايجابي وعدم الانحياز • ولكن هذه النظرة التي كانت سائدة في دول العالم الثالث الى وقت قريب ، قد اختلفت وتغيرت الان بعد التدخل العسكري السوفيتي السافر والمباشر في افغانستان ، وأحتلالها ، وهي دولة من دو لالعالم الثالث ، ودولة اسلامية ، ودولة ملتزمة بالحياد وغير منحازة ، وتقع خارج دائرة النفوذ الشيوعي التقليدي • وقد اكد الحزب ، كما اوضح السيد الرئيس في كتابه المعنون (نضالنا والسياسة الدولية) ، بأن الصراع الدائر بين القوتين الاعظم للسيطرة على العالم ، ولبرلته كما في المثال الامريكي ، او مركسته كما في المثال السوفيتي ، ليس في حقيقته صراعا ايديولوجيا ،

وان تظاهر الطرفان بأنه كذلك ، وانما صراعا مصلحيا ، وان تظاهر الطرفان بأنه ليس كذلك . وكانت افغانستان هي المحك الذي امتحن المعدن « التقدمي » السوفيتي وكشف حقيقته المصلحية العارية بما لايدع مجالا للشك . وقد ظهر الطلاق الصارخ والانفصام الكامل بين التوجه التقدمي والفعل السوفيتي في افغانستان . وثبت انه لاتوجد هناك علاقة اطلاقا بين الماركسية او الاممية وبين الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفيتي في العالم . وقد اتاح التدخل السوفيتي للامريكان فرصا واسعةللانتشار في مناطق عديدة واجزاء مهمة من العالم . ومنذ الحرب العالمية الثانية وحتى فترة قريبة ، كانت أمريكا لا تستطيع أن تنتشر انتشارا عسكريا واسعا في المحيط الهندي كما تنتشر الان . وفضلا عن ذلك ، فأن هذا التدخل ، قد استفز شعور التحدي لدى الاميركان . حقا ان الاتحاد السوفيتي قد استطاع ان يحقق هدفا استراتيجيا في منطقة استراتيجية معينة وكسبا محددا على الامريكان . ولكنه دفعهم الى التفكير في سدهذا الفراغ الستراتيجي في منطقة اخرى ستكون هي بالفعل منطقة الوطن العربي . تلك هي المردودات التي خلفها التدخل السوفيتي في افغانستان. وتحاول امريكا الان ان تتحرك بشعار الدفاع عن المنطقة او الخلاص من الشيوعية . ومن الواضح والثابت ان اميركا لاتريد ان تدافع عن المنطقة ، وانما تريد ان تفرض وصايتها على المنطقة .

وقد ادى التدخل السوفيتي في افغانستان الى سنوح فرصة ذهبية لاتعوض للسياسة الامريكية بأن تنتشر هذا الانتشار الواسع وان تحقق هذا التواجد المكثف في المنطقة . والحقيقة ان الغاية الاساسية هي استهداف الوطن العربي لاهميته السياسية والاقتصادية والنفطية . أذن سوف تشهد المنطقة العربية صراعا دوليا حادا يستهدف المصالح الحيوية

المهمة • وبالتالي يرمي الى تسوية للقضية الفلسطينية تنسجم مع مخططات ومصالح الدولتين الاعظم • لايمكن ولا يتوقع ان تقع مجابهة نووية بين امريكا والاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية • لان هذه المناطق هي خارج دائرة الامن القومي للدولتين الاعظم • أذن هذه المنطقة قد اصبحت الان دوليا بؤرة للاستقطاب وحلبة للصراع • وقد اتاح التدخل في أفغانستان للاتحاد السوفيتي أن يحقق نوعا من السيطرة غير المباشرة على منطقة الخليج العربي والاقتراب من المياه الدافئة • ويرمي من وراء هذا التحرك في المنطقة الى تأمين حصة من موارد نفطها تعينه على مواجهة نقص متوقع قريبا وتساعده في تجهيز دول أوربا الشرقية بحاجاتها من الطاقة • ونحن نميل الى الاعتقاد بأن امريكا سوف تقبل تدريجيا بالامر الواقع للوجود السوفيتي في افغانستان على ان تتحرك امريكا في مجالات اخرى من الوطن العربي • ويعني ما تقدم ، ببساطة ، ان وراء الاكمة ما وراءها وان الايام القادمة سوف تشهد توزيعا للحصص وتقاسما للادوار •وتنتظر امريكا الان فرصة للتعويض عن الخسارة التي لحقتها في افغانستان •

أي كانت هناك فعلا خسارة في الحسابات الستراتيجية • واذا استمرت هذه الحالة على هذه الشاكلة ، فستعود امريكا اضطرارا الى سياستها القديمة والبحث مجددا عن الاحلاف العسكرية والتكتلات السياسية في المنطقة واعتمادها في الحفاظ على مصالحها •

والواقع ان الاتحاد السوفيتي قد ضرب في التدخل الراهن حصارا أو طوقا حول الصين الشعبية يبدأ من فيتنام وكمبوديا ولاوس وينتهي بأفغانستان ، ويهدد المجمع النووي الصيني في مقاطعة (سينكايغ) ، ويقترب من المفاعل النووي في الباكستان ، ويفتح ممرا او طريقا من الناحية العملية الى ميناءي كوادار الباكستاني وشاهبهار الايراني المطلين

على المحيط الهندي والبحر العربي على التوالي . وقد كانت هذه المناطق هي لب الحلم القيصري القديم ، حلم القيصرة كاترين في السباحة في المياه الدافئة والاقتراب من المحيط الهندي . أذن يبدو عمليا ان الاتحاد السوفيتي قد اقترب شديدا من المياه الدافئة . وأصبح مضيق هرمز ، الذي يبعد عن اقرب قاعدة جوية سوفيتية في افغانستان مسافة ٦٠٠ كم هي مدى طائرة ميغ ٢٧ ، معرضا مكشوفا للتهديد السوفيتي . أذن من الناحية العسكرية ، نعتبر ان الاتحاد السوفيتي ، بالتواجد في افغانستان ، قد حقق الاهداف المصلحية الذاتية التي يتوخاها . قد تبرز أو تظهر في العالم بؤر سياسية قريبة من الوطن العربي ولكن تقع خارجه . الا انها بالنتيجة تستهدف الوطن العربي . كما نلاحظ الان مثلا في البؤرة السياسية الموجودة في أفغانستان والتي تستهدف الخليج العربي بالذات . أذن يجب ان نفهم الاحداث السياسية المجاروة او القريبة وحتى البعيدة ، وما هي مردوداتها على الوطن العربي . ويبدو ان الاتحاد السوفيتي لم يتخذ من افغانستان الا محطة على الطريق ، وقاعدة للرصد وربما منصة للوثوب والانقضاض في مراحل لاحقة اذا سنحت الفرص وساعدت الظروف ، وبالاخص في مواجهة الاحداث المتغيرة والتطورات السريعة في باكستان وايران . فضلا عن الاعتبارات الدفاعية المتعلقة بالجمهوريات السوفيتية الجنوبية التي تضم حوالي (٥٠) مليوناً من المواطنين المسلمين . وقد أظهر الاتحاد السوفيتي حرصا فائقا على قيام دول موالية وانظمة تابعة من جهة حدوده الجنوبية ، خشية امتداد الموجات الدينية الى تلك الجمهوريات ، وبغية أبعاد رذاذها المتطاير ، اضافة الى اقتراب الاتحاد السوفيتي من الاحداث في ايران وقدرته على حسم أحداثها بطريقة أقوى مفعولا وأشد تأثيرا من الامريكان . كما انه قد اقترب من الصين الشعبية وطوقها الى حد

معين ، فضلا عن اقترابه من باكستان وحليفته الهند ، إذن هذه هي احدى البؤر السياسية التي تستهدف الوطن العربي .

قد تقام بؤر أخرى في المخططات الامبريالية وتستهدف العراق ايضا . وقد يتحرك الاتحاد السوفيتي تحركا لاحقا اخرا بتشجيع البلوش وتحريضهم على الانفصال عن باكستان وايران وتأسيس دولة مستقلة في منطقة حيوية خطيرة يبدو أنها تتعرض الآن الى ظاهرة (بلقنة) بأكثر من وجه وطريق وشكل ، ومن ثم الوصول الى الموانىء المطلة على المياه الدافئة . وهناك مخطط دولي آخر يرمي الى اقامة دولة كردية في المنطقة الشمالية ، والسعي الحثيث للتحريض والتشجيع على الاضطراب والتوتر والقلق في تركيا وايران وشمال العراق . ويقوم هذا النمط من التفكير والتخطيط على القناعة بأن قيام مثل هذه الدول التي تتوخاها الاطراف الدولية المتصارعة ، سيضطرها ان تدين بالولاء للدول الكبرى . ومخطط الدولة الكردية بالذات يستهدف العراق بأعتباره المفصل الحساس والمفتاح المركزي للعملية الكبرى في الوطن العربي وفي مجمل التحركات الدولية التي تحدثنا عنها وأشرنا لها . تلك هي المخططات الدولية وكيف تستهدف خلق بؤر من الافكار المحلية تدعمها قوى دولية . وترتبط هذه الافكار حاليا بمخطط آخر ، ولكن قد يكون مؤجلا في هذه المرحلة، ويتعلق بالوضع في يوغوسلافيا بعد تيتو . ما هو وضع يوغسلافيا بعد ان التحق تيتو بالرفيق الاعلى ؟ ستتعرض يوغسلافيا الى هزات وقلاقل ، وربما تعرضت الى انفجار للصراعات القومية التي ستساهم الى حد كبير في تنفيذ السياسات المحلية في المنطقة ، وقلقلة يوغسلافيا تستهدف أيضا الوطن العربي وامن البحر الابيض المتوسط واسرائيل بالذات . أذن

نلاحظ كيف ان هذه العملية الدولية تحاول ان تجد بؤر سياسية تفجرها ، وكيف تنتشر وتؤثر جميعها على الوطن العربي .

سياسة الوفاق وظاهرة الصراع

طبعا قد يسأل سائل او يخطر بالبال : كيف يمكن ان يدور مثل هذا الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفيتي مع ان الوضع الدولي يقوم على سياسة الوفاق ؟ الواقع أن سياسة الوفاق لا تعني تقسيم العالم تقسيما واضحا ودقيقا والامتناع عن استغلال الطرف الاخر للتخبطات والاخطاء الستراتيجية التي يرتكبها احد الطرفين . وما حدث في افغانستان لا يعدو ان يكون خللا استراتيجيا في التحرك السياسي او في التوازن الدولي أستغله الاتحاد السوفيتي استغلالا ذكيا جيدا . وقد انطلق الاتحاد السوفيتي في قراره وتدخله في افغانستان من تقديرات دقيقة وحسابات شاملة . فأولا ، ان الاوضاع في ايران هي أوضاع غير مستقرة. وثانيا، أن لعبة الرهائن قد أظهرت للعالم بأنها ضربة شديدة اقلقت السياسة الاميركية. اضافة الى ان شخصية كارتر بالذات تتسم بالقلق والاضطراب. فضلا عن الحرج الاقتصادي الذي فرضه الكونغرس على الانفاق العسكري . ثم استدراج السوفيت للامريكان الى محادثات مطولة امتدت عقدا من الزمن للتوقيع على اتفاقية (سالت ــ ٢) . وقد استغل السوفيت هذه الفترة الزمنية للتفوق على الامريكان في الاسلحة التقليدية والنووية معا . كما ان الاتحاد السوفيتي قد دخل في تجارب دقيقة ومتعاقبة ومحسوبة ، منذ سنة ١٩٧٣ حتى الان ، للتعرف على ردود الفعل الامريكية أزاء التحركات السوفيتية الخارجية . فأقام السوفيت جسرا جويا للمرة الاولى امتد الى العرب في قتالهم ضد اسرائيل سنة ١٩٧٣ . واعقبته تحركات سوفيتية نشيطة في أنغولا واثيوبيا وعدن .

ولحقتها أزمة تواجد اللواء السوفيتي في كوبا ، التي انقلبت الى زوبعة في فنجان . وقد أدت هذه المجسات الى تكوين فكرة أو قناعة لدى السوفيت بأن ردود الفعل الامريكية قد لا تكون فعالة أو مؤثرة اذا تدخلت القوات السوفيتية في أفغانستان .

والواقع ان وضع صانع القرار الاميركي الآن يختلف الى حد كبير عن وضع صانع القرار السوفيتي . فصانع القرار الامريكي يعاني الان من عقدة نقل القوات الاميركية الى مناطق بعيدة نائية تقع خارج حدود اميركا ودائرة امنها القومي المباشر . وتلك هي عقدة فيتنام. وقد انعكست انعكاسا سلبيا على دور الولايات المتحدة الاميركية في العالم من الناحية الاستراتيجية . ونلاحظ ان اميركا من الستينات الى سنة ١٩٧٣ كانت قد حققت تفوقا عسكريا ملموسا على الاتحاد السوفيتي من الناحيتين التقليدية والنووية . وكان التفوق المذكور قد وجد مصداقيته في أزمة سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا على أثر التهديدات النووية الامريكية . ثم بدأ الانفاق العسكري الامريكي في الانخفاض مع التزايد المتسارع للانفاق العسكري السوفيتي . وبذل الاتحاد السوفيتي جهدا دائبا حتى استطاع ان يصل الى وضع من التوازن او التعادل . وجرب نقل قواته خارج الحدود لاول مرة في سنة ١٩٧٣ . ووجد ان امكانياته قد أصبحت تفوق الامكانيات الاميركية حينذاك من هذه الناحية. فضاعف الاتحاد السوفيتي من جهوده حتى حقق تفوقا ملحوظا معينا في الاسلحة الاستراتيجية والتقليدية معا . وفي مثل هذا الوضع ، وتحت غطاء من هذا النوع ، حدث التدخل العسكري السوفيتي السافر المباشر في افغانستان . اما ردود كارتر فأنها قد اقتصرت على تعزيز وتكثيف التواجد البحري الامريكي في المحيط الهندي . وانطوت أيضا على زيادة الانفاق

العسكري الامريكي بنسبة ٥٠٪ وتشكيل قوات للتدخل السريع • ولكن هذه الخطوات تحتاج الى فترة زمنية لا تقل عن (١٠) سنوات من جهد التنفيذ واستكمال الاستعداد لتتحول من خطط الى وقائع مؤثرة وفعالة •

والان يمتلك الاتحاد السوفيتي فرقتين منقولتين جوا • وتتراوح كل فرقة من (٤٠) الف جندي الى (٦٠) الف جندي • وبأستطاعته ان ينقلها جوا الى أي مكان في العالم • ولا تستطيع امريكا في المستقبل المنظور ان تمتلك اكثر من فرقة واحدة منقولة جوا يتراوح عددها من (١٠/٠٠٠) الى (١١/٠٠٠) جندي في اقصى حالات الاستنفار • ومن هنا ، يبدو ان الاتحاد السوفيتي يعتبر متفوقا استراتيجيا على امريكا في السنوات العشر القادمة • ولكن في كل الحالات ، لا نتوقع ان تحدث مجابهة نووية بين الدولتين الاعظم • لان مصالح الدولتين الاعظم يمكن حفظها وتنسيقها في منطقة الخليج العربي ، بل انها محفوظة ومنسقة فعلا ، وليس من المتوقع اذن ان تتناقض مصالحهماالى حد الدخول في مجابهة نووية • تلك هي بوجه عام صورة التحرك الدائر الان في العالم ، والذي يستهدف بالدرجة الاولى منطقة الخليج العربي • ويتسم التواجد الدولي الان في المناطق القريبة من الخليج العربي بأنه كثيف ومتزايد ، ويهدد امن الخليج كما يهدد امن الوطن العربي بالدرجة الاولى • وقد جاء الاعلان القومي للسيد الرئيس صدام حسين باعتباره جوابا فعالا وردا حاسما على كافة هذه المخططات الدولية والاطماع الاجنبية •

وقد اتخذ العراق موقفا واضحا يتسم بالحرص على أبقاء الخليج العربي حرا مستقلا بعيدا عن التحركات الدولية والتدخلات الاجنبية • ونحن ملتزمون بهذا المبدأ ألتزاما مطلقا حتى مع الدول التي تعادينا في

سياستها ، بشرط أن توافق على ابعـاد الدولتين الاعظم عن التدخل في شؤون الخليج العربي •

ونلاحظ الان ان كل طرف يطرح سياسة في الخليج تختلف عن الآخر • ماهو الخليج ؟ البعض يسميه « الفارسي » وهذه التسمية ليست عفوية بل مقصودة بحسـاب معين من الاسـتراتيجية الدولية • والبعض الآخر يسميه الخليج العربي كما ينبغي ان يسمى فعلا • والبعض الثالث يسميه الخليج « الاحمر » ، انطلاقا من التخطيط الذي يربط الخليج العربي بالبحر الاحمر ، في ضـوء اقتراب السوفييت من المناطق المجاورة او القريبة • وهكـذا دواليك • وقس على هذا المنوال • وهي خطط وسياسات رفضها العراق علنا جملة وتفصيلا • وأصر على الحقيقة القائلة ان امن الخليج يعتبر مسؤولية مشتركة جامعة للدول التي تطل على مياهه وسواحله • لان دخول الدول الكبرى والقوى الدولية الى الخليج العربي سيفتح الابواب على مصاريعها أمام تلك الدول والقوى للتدخـل في شؤون الوطن العربي وتحويله الى أراض مشاعة وحصص موزعة ، كما أفاد السيد الرئيس القائد مؤخرا في مقولة صائبة وسديدة •

اشكركم • والسلام عليكم •

حوار :

سؤال : هل يمكن ان نقول ان هناك تغييراً في الطريقة الجديدة التي يمكن ان تستعملها الاستخبارات الاميركية في المستقبل ؟ وضح ان الانقلابات العسكرية كانت في تلك الفترة هي المودة • لكن الان في الفترة الحالية نلاحظ ان تغييرا قد طرأ بشكل آخر • هل من الممكن ان نعتبر ان مودة الانقلابات العسكرية اصبحت مودة قديمة • والمودة الجديدة

هي التغييرات الدينية التي نلاحظها في المنطقة مثل البؤر السياسية والبؤر الموجودة الان او الانتفاضات في تركيا او في لبنان او في وايران او في أفغانستان أو في مناطق عديدة من العالم • نرى ان القضية الدينية هي التي تلعب دورا رئيسيا • هل من الممكن ان نقول ان هذه الظاهرة قد برزت من المخططات الموجودة حاليا عن المستوى الدولي ؟ •

جواب :

شكرا • في الواقع المتتبع للمخططات الاميركية بالذات في المنطقة يجد ان اميركا لا تستغني نهائيا عن اية ظاهرة تجدها مناسبة او مفيدة في يوم من الايام • ظاهرة الانقلابات العسكرية هي من الورقات المثلى التي لعبتها اميركا والاتحاد السوفيتي • ولكن في حالة ظهور ظاهرة جديدة ، لا تتردد ، لا أميركا ولا الاتحاد السوفيتي ، من استغلال هذه الظاهرة الى ابعد نقطة من نقاط الاستغلال • لكنها لا تسقط من حساباتها اية ورقة اخرى اذا سنحت الفرصة في مرحلة من المراحل •

اما الظاهرة التي اشار لها وتحدث عنها السائل ، فأنها تتعلق بنظرية بريجنسكي • وتقضي تلك النظرية بتفجير الاوضاع الداخلية الطائفية من خلال الدين بشكل مضاد للقومية • هذه النظرية طبعا نظرية اميركا ، نظرية بريجنسكي • ولكن بعد أن أصبحت الظاهرة الدينية ظاهرة مغرية وصالحة للاستعمال ، فهل تعتقد ان الاتحاد السوفيتي يتردد في استغلال هذه الظاهرة لصالحه ؟ الجواب نعم • لان المخططات الامبريالية التي

تطرح في العالم قسم منها موجود ويتم تحريكها وقسم منها غير موجود ويتم خلقها • وفي حالات معينة هناك ظواهر ايجابية تستغل سلبيا ضد الشعوب مثلا ، هل ان الدين الاسلامي هو ظاهرة غير صحيحة ؟ الجواب لا • متى كان الدين الاسـلامي هو ظاهرة غير صحيحة او ظاهرة غير تقدمية او ظاهرة غير ايجابية ؟ الدين الاسلامي هو قوة للعرب وسلاح ايجابي بيد العرب • ولكننا نلاحظ ان المخططات الاجنبية ، بالقدرات التي تمتلكها ، قد استطاعت ان تغير ظاهرة ايجابية صحيحة الى ظاهرة سلبية مضادة للمصلحة الوطنية والقومية •

اذن لا نستطيع ان نقرر مسبقا بأن المخططات الاجنبية الدوليـة ستعتمد على ظاهرة واحدة معينة دون الاخرى • وانما يتم طرح كافة المخططات وجميع الاوراق في وقت واحد وعلى حد سواء • ولكن اذا كانت اليوم الورقة الرابحة هي المسألة الدينية فلابأس ، وان أصبحت في فرصة اخرى مناسبة هي الانقلابات العسكرية فايضا لا تتردد أي من الدولتين الاعظم في طرحها واستغلالها •

سؤال :

بالنسبة للعراق ، يعتبر من الاقطار الكبيرة القومية • ومعروف بأن هناك معاهدة صداقة بين العراق والاتحاد السوفيتي • وهي ربما تكون مفيدة بأعتقاد العالم الثالث • والعراق من هذه الاقطار • لان الاتحاد السوفيتي هو الدعامة الرئيسية لهذه الدول في نضالها • لكن في الفترة الاخيرة اتضح بأن الاتحاد السـوفيتي ايضا انتهج اسـلوبا دوليـا

يشـــابه في بـــعض مـــن جوانبـــه الاســـلوب الامبريالـــي فما هو الموقف من هذه المعاهدة ؟ وهل لها أثر بالنسبة للسياسة الخارجية العراقية ؟ لان العراق يعتبر هو الطليعة حتى بالنسبة للدول العربيـة القومية ودول العالم الثالث الاخرى •

جواب :

شكرا • سؤال جيد • وقد أوضح السيد الرئيس في احدى خطبه مؤخرا ان المعاهدة مع الاتحاد السوفيتي لا تتعلق بالتدخلات • بل انها تتضمن بندا صريحا لا يبيح لأي من الدولتين المتعاقدتين أن تتدخل في الشؤون الداخلية للاخرى • ولا توجد نية لاعادة النظر في معاهدة الصداقـة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي • وانما المواقف المبدئية شيء ، والمعاهدات التي تخدم المصالح الحيوية للدولتين شيء آخر • وطالما أن المعاهدة تقدم خدمة للعراق وللاتحاد السوفيتي ، فهي أذن قائمة • متى ما تناقضت بنود هذه الاتفاقية مع مصلحة البلدين فيعاد النظر فيها •

اما الان ، فأن موقف العراق من التدخل السوفيتي في أفغانستان لا يتعلق بمعاهدة الصداقة والتعاون • وموقف العراق موقف مبدئي • وقد اعلن العراق موقفه أعلانا صريحا دون لف ولا دوران • والصـديق الصدوق يكون واضحا في موقفه من الصديق • وهكذا فعل العراق مع الاتحاد السوفيتي دائما •

الفهرست

السلسلة الاعلامية
١٤٦

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٠٢ السنة ٩٨١